اختلال منتظم

اختلال منتظم
رواية
سماح حربي
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : ٢٠١٧
ISBN 978 -977-6535-69-5
رقم الإيداع : ١٦٥٥٦ / ٢٠١٧
ديوى : ٨١٣
١٠٠ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

اختلال منتظم

رواية

سماح حربي

حسناء للنشر

إهداء

أبي الحبيب رحمك الله

أمي درة التاج ومهجة القلب

إخوتي الأعزاء

أصدقائي وأحبائي

لكم مني كل الحب وهذه الرواية

يقولون إن الإهداء الحقيقي يكون ضمنياً داخل الرواية وأن صفحة الإهداءات محض مجاملات

على أية حال

هذا إهداء إلى كل من يجد نفسه بين السطور أو راسياً على شط حرف أو هائماً متأرجحا على متن كلمة.

١

انتفضت من على الطاولة وفتحت عيني بشدة كأنما فتحتهما على برق، أدرت ذراعي الأيسر لأجد الساعة مازالت الثامنة مساءً.. لم تنته النوباتجية بعد!!

يا الله الوقت لا يمر... الغفوة في المنزل ساعتين وفي المستشفى خمس دقائق، جاءني هذا الخاطربينما تقبع على وجهي مشاعر تبرم وسخرية على مجيء أحد المرضى.

المريضة: د. فريدة ربنا يديم عليكي الابتسام والسعادة..

فريدة: أيوه يا حاجّة إزيك..

المريضة: مصدعة جامد بقالي يومين وعيني مزغللة.

فريدة مداعبة: يومين بس ياحاجة برضو؟

انتهيت من الكشف عليها وأعطيتها بعض العلاجات على أن تتواجد بعض الوقت بالطوارئ لمتابعة التحسن.

أن يعرف المرضى طبيب الطوارئ ويربطهم به بعض التواصل الإنساني أمر غريب في أي مكان في العالم، طبيعة عملي أن أكون في الطوارئ دائما وهو الأمر الذي يمر مرور الكرام في حياة الناس أو لا يمر على الإطلاق. ومن الطبيعي أن يكون المريض في حالة المتابعة العادية في العيادات ويكون الطارئ طارئا في حياته،

أما عندنا فالكثير من المرضى في هذه الحالة عادة وتكون زيارات الكشف الاعتيادي هي الطارئ بالنسبة لهم؛عقلية اليوم بيومه "لن أذهب للطبيب إلا في حالة

الإعياء الشديد"، لايفهم أنه يأتي في حالة المضاعفات وتحدي إنقاذ حياته.

لا يتعامل إلا مع الأزمة لا تفكير استراتيجي للوقاية دونها، تعامل يشبه حال بلادنا كثيرًا لا نلتفت للإشارات والأعراض، نعرف أن الأزمة قادمة ونتعامى بسذاجة وعدم مسئولية وربما عن قصد أحيانًا!! إنها أحجية!!

دائما ما نقع في أزمات متوقعة، والغريب أننا نتفاجأ كل مرة!! مع إن عندنا خبرا استراتيجيين كتير!!

لو يعلمون أني قد تركت التخصصات الطبية الهادئة نسبيًا لأني لا أريد تواصلاً أكثر، أريد أن اقوم بعملي وأختفي ويختفي ذلك المريض أيضًا، وياحبذا لو كان هذا المريض فاقدًا للوعي أو لا يتحدث من الألم وأهله من الصدمة فأعمل في صمت وينتهي الموقف ويبتغي كل منا سبيلا هو مع طبيب أخر وأنا مع مريض آخر.

لا أحب إسداء النصائح، أعتقد أني غير مؤهلة لإعطائها ولا أريد أن أكون كطبيب القلب الذي يحذر مرضاه من التدخين بشدة ويؤنبهم والمطفأة أمامه ملأى، ولا كطبيب

الباطنة الذي ينصح مريض السكري بممارسة الرياضة وبطنه متدلية أمامه ولا يفرغ من الحديث مع مريضه حتى يؤكد على طلب الدليفري المعتاد ...

ولكني سئمت أيضا عقلية الوقوع في الأزمات فهي غيرمرضية إلا لبرامج التوك شو المستفزة التي اعتاد أبواي الاستماع لها بشغف!!

أقوم من مقعدي بخطوات بطيئة نسبيًا أجر قدميّ ربما بسبب استيقاظي لتوي من غفوة، بالإضافة إلى كوني ممتلئة قليلا وغير رياضية، وهو الأمر الذي فكرت في تغييره مرارًا وتكرارًا بشكل شبه يومي وبدون ملل كالكثير من البنات على طريقة تجديد النية!!!

دائما ما أنظر إلى نفسي بأني لا أحمل بعض الكيلوجرامات الزائدة فحسب، ولكن هذا تراكم السنوات العجاف بالكلية وتوابعها، فترد (منى) صديقتي المقربة ضاحكة: احمدي الله إنه تراكم تدريجي موزع وأنه لم يتراكم في بطنك فقط (وتبقي بكرش مثلا) وبعدين

عجـاف فـين؟ أمّـال لـو مكـانوش عجـاف.. فننفجـر بالضحك، افتقدتها جدًا، لابد أن نرتب لقاءً قريبًا.

اتجهت إلى حوض المياه في أحد أركان غرفة الأطباء وفتحت الصنبور وأغرقت وجهي بالماء وقمت بتنشيفه بالمناشف الورقية المجاورة.. أن تغسل فتاة وجهها أمام الجميع هو فعل شجاع جدًا، أعلم ذلك جيدًا، إنه لاتقوى علـى فعلـه الكثيـرات مـن واضـعات الميكـب والألـوان ومحسنات البشرة، ثم أمسح نظارتي الطبية ذات الفرام الأسود وأضعها فوق أنفي. الدنيا أوضح الآن. وهنا تعالت أصوات قادمة، بكاء وصوت أقدام ترولي وصيحات "الحقونا"..

يا أهلاً بالطوارئ!!

❊ ❊ ❊

من المميزات المسكوت عنها والغافل عنها الكثير من الناس أننا نستطيع أن نرى نعم الله بشكل أوضح ونعيد تقييم الحياة، ليس فقط كون أن الموت يفضح الحياة

أمامك بخداع بهرجها وكذب منطقها على أسرة المرضى وإلى جانب الآمال المؤجلة والأحلام المغرقة الملقاة إلى جانب أشلاء أصحابها في الحوادث وكثرة رؤيتك للحقيقة الكبرى أمام عينيك تتحقق فيعم السكوت المكان للحظات وتستمربعدها الحياة من جديد.

بل أيضا يجعلك نظام التدريب بالمستشفيات تدرك حبك لأهلك من كثرة ابتعادك عنهم وجمال طعام والدتك الذي كنت تتأفف منه أحيانًا وراحة النوم في سريرك وأهمية لحظات اللا شيء في حياتك والتي تعتبر عادية جدًا عند أي شخص، وهُم محضُ نِعَم للطبيب المقيم يحمد الله عليها متى أدركها...

أحرك المفتاح في (كالون الباب)... الباب لا يفتح، يالعسر الحظ !! أحيانًا تجد كل شيء لا يعمل ولا تعرف السبب، وتعاندك الدنيا لغضبك منها؛ نغضب فيزداد ما يثيره من حولنا، أدركت هذه الفكرة من قبل وقررت عقد صلحٍ ما مع الدنيا ولكن أحيانا يكون غضبها وحنقها أعلى من قدرتي على ابتلاعه.

حاولت إيهام نفسي أن الأمور على مايرام كدواء مساعد لهضم الموقف ولكن لا جدوى، المفتاح مازال لا يعمل .

أمعنت في المفتاح بغضب.. يا الله.. إنه ليس هو، إنه مفتاح سكن الطبيبات بالمستشفى، لهذا الأمر أدركت وقتها أني مغتربة، إن هذا ليس بيتي وليس هناك أيضا!!

يا الله ماهذا العقاب؟! كيف أصبحت بلا مأوى مع زيادة عدد المآوي والأسرّة التي أنام عليها من التعب أو حتى على المكتب أو الكرسي وأنا من كنت لا أنام إلا على سريري فقط؟ وكنت عندما أسافر عند خالتي في القاهرة أو عمي في بورسعيد لا أنام وأظل أتقلب في السرير بمعدل أكثر من تقلّب مريض مقعد لا ينام على مرتبة هوائية، وبضجر سيوران ذلك العدمي الذي تهتم به منى عن ظهر قلب والذي ظل طيلة حياته يعاني من الأرق.

كيف ومتى فقدت الكثير منّي ومن تفاصيلي في عملي، أصبحت أكثر مرونة لا أنكر.. اكتسبت خبرة في التعامل مع شخصيات لم أكن لأتعامل معها أبدًا ولكني أيضا فقدت من فريدة كثيرًا، أصبحت مسخًا بلا ملامح

كالماكينات في المصانع، الجميع يؤدي نفس العمل بانضباط بلا تغيب وبحياد وصرامة وتقريبا يتساوى الأداء.

أتذكر تلك النوباتجية في العام الفائت وحرارتي قد بلغت التاسعة والثلاثين ونزلت للعمل لعدم توفر بديل... اللعنة المسماة بالنوباتجية لا يهم عدد أيامك الاعتيادي والعارضة، النوباتجية أمر نهائي نافذ مالم تجد بديلا، الذي نادرًا ما يتواجد، وكيف يتواجد البديل وجميع الماكينات تحتاج إلى بعض الراحة والصيانة لتعمل من جديد، الجميع مرهق متعب وإن وجد يومًا للراحة كيف يضحي به هكذا. لو كان زميلي مريضًا فأنا محترق وهو ليس أمري وحدي.

فأهلي لهم حق في رؤيتي أيضًا، فأنا مازلت لم أغادر للخليج كمسار وخط سير طبيعي لكل طبيب أو لإحدى دول أوربا أو أمريكا بمعادلة أوزمالة كحلم أكثر بريقا، ربما حتى لا تحتاج العطلة ولكن إحساس الجبر والمنع واعتبارك غير آدمي متعب ومرهق، إحساس ينقض

على نفوسنا يحاصر أرواحنا يجعلنا ننسى كل شيء وكل ما يهمنا هو أن نتجاوزه..

❊ ❊ ❊

بعدما انكببت على السرير ليلة أمس وأمضيت مايقرب من إحدى عشرة ساعة في النوم العميق وكأني قد أصابني الجاثوم استيقظت على صوت منبه الهاتف الخلوي (الموبايل) الخاص بي ذي الصوت المزعج، اخترت النغمة عن قصد، أعرف جيدًا أني عندما أنام لن يثنيني عن فكرة الاستمرار في النوم موسيقى مريحة أو معتدلة؛ فالنوم بالنسبة لي فرصة وإغواء لا يمكن مقاومته كلما سمحت الظروف بذلك، لشعوري الدائم تجاهه بالندرة.

أستيقظ منزعجة ولكني على أي حال أستيقظ لأدور في حياتي من جديد لأمارس ذلك الدور أو تلك الأدوار التي أوزع نفسي فيها ولا أشعر يومًا أني أعطيت كل ذي حق حقه.

بداية اليوم توتر وإزعاج ونهاية اليوم لا تنتهي كغيري من بني البشر بنوم هانئ في فراشي (فهذا متوقف على جدول النوباتجيات)، وبينهما صراخ وغضب وألم وواجبات لاتنتهي.

يا الله.. موعد المحاضرة بعد نصف ساعة، ولكني لن أذهب فالوجود في المنزل أمر لا يتكرر كثيرًا، عليّ أن أعيش معه بعض الأجواء الاحتفالية أحيانا وإن كنت أعلم أني ربما سأندم على ذلك، ولكن لا بأس، فلتضف الندم إلى قائمة اليأس والإحباط والإرهاق، عندما يتزاحم كل هؤلاء لن تراه وسطهم واضحًا، فلن تختلف المحصلة كثيرًا بأية حال..

نهضت من سريري متثائبة تتسرب إلى روحي بعض النسمات الباردة؛ أبسط الأشياء تشعرني بالفارق وتقوي لديّ شعور لماذا وكيف وصلت إلى تلك النقطة... اتجهت إلى المرآة نظرت لنفسي باستغراب وإعادة اكتشاف، عادةً لا أمعن النظر فيها، أخذت أهيل شعري المنسدل يمينا ويسارًا ولأعلى ثم تركته خلفي، الحياة أجمل في المنزل ولكني لن ألعن قاسم أمين كصديقتي

صفاء طبيبة الباطنة، فالمكوث في المنزل أيضا لا يرضيني، غريب الشخص منا، اللا شيء لا يرضيه، وشيء دون شيء كذلك يجعله ينجرف بالاتجاه الآخر، ولا حتى كل شيء يضمن له الراحة!... الحياة لعبة توازنات، ميزان عدل وليس ميزان مساواة، كذلك كان يقول جدي رحمه الله دائما.

افتقدت أبي وأمي، مضى يومان لم أرهما فيهما، خرجت لتوي من غرفتي: بابا... ماما، صباح الفل عاملين ايه؟؟ أم فريدة: فريدة نور عينيا صباح الفل يابنتي عاملة إيه؟ إمبارح مالحقناش نكلمك جيتي نمتي على طول صعبتي علينا نصحيكي تتعشي معانا.

فريدة: متقلقيش ياماما أكلت مع زمايلي ساندوتشين قبل ما أروّح..

أبو فريدة: إنتي معندكيش محاضرات النهاردة؟

فريدة: عندي يابابا بس أنا تعبانة...

أبو فريدة: ماشي يافريدة بس انتي كبرتي خلاص مش حنعرفك مصلحتك ...

وهنا جاءت أمي بصينية على منضدة الأنتريه: كلوا ياللا العيش طازة...

الأب: أستاذ ربيع جارنا كان ابنه بيجيله كل شوية مغص يابنتي..

فريدة: أيوه يابابا ما أنا عارفة إنه بيجيله ...
الأب:هو أنا قلت لك قبل كده؟

فريدة: لأ.. ماما قالت لي وابنه كمان قاللي، غالبا فاضل إن المغص ييجي يقولي بنفسه..

الأم: يابنتي الناس قصدينا.. مالك؟

فريدة: يا ماما أنا قلت حاجة؟ ما هم بيسألوا وأنا بأرد عليهم وأقوله اعمل كذا وكُل كذا ومابينفذش ويرجع يشتكي تاني، من الآخر ابنهم طفس ياماما.. عايز يشتكي وبس وأنا زهقت من الكلام ...

الأب: طب خلاص هم بس قاصدينا من عشمهم، انتي عارفة هم فرحانين بيكي إزاي زي ما إحنا فرحانين بيكي ويمكن أكتر، تنهدت بينما دار الحديث في اتجاه آخر بينهما: فرحانين بمين؟ فرحانين ليه؟ فرحانين بالبالطو والسماعة واللقب؟.. لو كنتم تعلمون أني متناثرة بين كل هذا إلى الحد الذي لا أستطيع فيه إيجاد ذاتي لما فرحتم هكذا..

تفرحون بالدور ربما!! بوصولي للقب الذي تعبتم كثيرًا حتى وصلت إليه؛ هكذا دائما تذكرونني ولا أنكر لكم ذلك ولا أنكر انقطاعكم عليّ فقط وتهيئة جميع الظروف والأوضاع التي تكفل لي تقمص ذلك الدور.

نعم تستحقون، السعادة طبيعية لكم لأنكم حلمتم ووفقتم، أما أنا فقد لعبت الدور فقط.. لم أطمح له ولم أخطط، انسقت فيه كممثل ساذج بحجة أن المخرج يعرف كل شيء، رغم ذلك لا أدري إن عاد بي الزمن هل سأكون من الشجاعة باختيار الدور؟ حلمتم لي في وقت كان حلمي بأن أدخل كلية الفنون الجميلة وأصبح رسّامة

محض حمق وسذاجة وتضييع وقت وضياع مستقبل وإلقاء بمجهوداتكم الجبارة على الأرض بعشوائية

فتاة مراهقة لا تعرف ماتحب ولا ماتريد، تم التشكيك في حدسي وروحي فوافقت راضخة على التخلي عن حلمي الأحمق مقابل أحلامكم العظيمة.

أم فريدة: مالك يافريدة؟ كُلي.

فريدة: ولا حاجة ياماما، جالي اللي بييجي لابن عم إبراهيم...

❊ ❊ ❊

كورنيش طويل في مدينة دمنهورالصغيرة أسير فيه على مهل، طبعًا يختلف عن ذاك الرائع في مدينتي الأثيرة الإسكندرية التي حللت عليها ضيفة لمدة سبع سنوات في المدينة الجامعية، فكانت الأم بالتربية، ولكن نحن سكان الأقاليم ممن لا نملك بهرج المدن الكبرى

القليل يرضينا أو نرغم أنفسنا على ذلك، ليس لدينا بديل، حدائق صغيرة مؤتمرات و"إفنتات" بين الحين والآخر.

القليل من الماء الراكد (النيل) والهواء الطلق يعتبر مكانًا رائعًا للخروجات، موعدي اليوم مع صديقتي اللدودة منى، كم اشتقت إليها وإلى حواراتنا معًا، يعجبني عقلها كثيرًا، تقاربني في السن، بضعة أشهر هو الفرق بيننا ولكن بعد تفكير وعقول هو فرق آخر بيننا، يعجبني ذلك كثيرًا، فتاة قمحاوية منفتحة مشرقة محبة للعلم والحياة.

تخرجت في كلية الآداب قسم الفلسفة، وعلى عكس الكثير من خريجيها هي كانت تحب دراستها جدًا رغم أنها لم تكفل لها فرصة عمل، ولأنها تحب الحياة لم يؤرقها ذلك كثيرًا، تعمل مدرّسة في حضانة للأطفال قريبة من منزلها وتقوم بالتحضير للماجستير عن كثب.

ربما يظن أغلب الحمقى أنها ربما تشعر بالغيرة مني فأنا كنت طالبة متفوقة اجتازت الثانوية العامة بمهارة لائقة بشخص قد انقطع عن الحياة بل وأهله أيضًا قد انقطعوا كذلك، لأجل ذلك فانت محط إعجاب الجميع وغيرك ربما محل شفقة لايهمهم أي معنى لأي شيء،

ولكني كثيرًا ما أجد نفسي متلبسة بغبطتها على ماهي فيه، فعلت ما أرادت ومُحِبة لما تفعل، لن أنسى ذلك اليوم الذي تعرفت عليها فيه، كنا في الصف الثاني في الجامعة، كنت قد علمت بوجود معرض رسم مقام في جامعة الإسكندرية بسوتر مع كليات دمنهور، وكانت أحد أبرز المنظمين.

تعرفت عليها يومها وقد ذهبت لأشاهد على استحياء لوحات المعرض، شاهدت فتاة لبقة جذابة وعرفت أنها من مدينة دمنهور أيضا، ومن يومها كانت لقاءاتنا بين الحين والآخر في دمنهور والإسكندرية.

لا أعرف ماذا وجدت فيها وماذا وجدت فيّ، حدثت الألفة من أول لقاء ربما تقارب المستوي الاجتماعي والفكري وحب نجاة وعبد الحليم، بالتأكيد هي أكثر جرأة على الحياة، ربما حملها على ذلك دراستها للفلسفة أو دراستها للفلسفة كانت النتيجة بسبب رغبتها العميقة في فهم الحياة، لم أقرأ في الفلسفة إلا قليلا جدًا، ولكني لا أنكر أني أحببتها من خلالها، إذا شربنا كوبًا من الماء تذكرني بأن أحد الفلاسفة – يدعى طاليس- كان يظن أن

الماء هو أصل الحياة فأقول لها " وجعلنا من الماء كل شيء حي" فتذكرني أن ذلك كان في عصر قديم جدًا، عصر ماقبل سقراط، وإذا اقترحت عليها التمشية ضحكت وقالت لي مثل المشائين فلنمشي ونفكرمثلهم إذًا..

وعندما لا تكون لدي طاقة للحديث ويتحول كلامي لأسئلة وجودية فتجيبني وأستمر في السؤال بلا انقطاع فتقاطعني: كفاية دور سقراط لحد هنا أحسن ده نهايته وحشة. ونضحك، علمت منها أنه قد قتل بالديمقراطية في عصره فنتدارك الأمر، الديمقراطية مازالت تخطئ وتقتل، الجماهير ليست واعية والاختيارات ليست حكيمة ..

كنت أتمنى لو أتيحت لي دراستها أيضا، كانت قد ذكرت لي منى يومًا مقولة لبرتراند راسل (العلم هو ما تعرف والفلسفة هو ما لا تعرف) وبما أني لا أعرف الكثير جدًا وأشك فيما تبقى فكانت الفلسفة هي ملجأي المناسب، وكنت قد قرأت يومًا في إحدى المقالات أن هناك تجارب لكليات طب في أوروبا وأمريكا تدمج الفنون

الرفيعة والفلسفة والأدب وتذوق الجمال ضمن مناهجها لتخفف من حدة الجمود في العلوم التجريبية والتي ربما تلقي بظلالها على شخصية دارسيها. أعرف جيدًا أن منى ليست القاعدة، ليس كل دارس للفلسفة والفن والجمال في الكليات الأدبية هو شخص متفتح وغير جامد، الأمر استعداد واجتهاد شخصي...

علمتها الإسعافات الأولية وكثيرًا من المعلومات الطبية التي تلتقطها عن سعادة ورضا، دائما هناك أشياء يمكن أن نقولها، أراها رائعة وتراني كذلك، ما أجمل تلك العلاقات، اقترب الموعد واقتربت من الكافيه لعلها أنجزت في رسالتها عن سيوران ذلك الفيلسوف العدمي الذي لم أكن لأعلم عنه شيئًا لولا أنها توافيني عنه ببعض الأخبار بين حين وآخر، أتساءل أحيانا كيف أنها تتحمس لهذا الفيلسوف العدمي وهي من تجيد حب وفهم وإدراك معنى الأشياء والحياة؟

المنضدة النيلية هناك تجلس عليها منى مركزة نظرها على إحدى المراكب، تاخذ نفسًا عميقا. فريدة: بتعاكسي

مـين هنـاك؟؟ ردت مداعبـة: جئـتِ أخـت فريـدة؟ كيـف حالك؟

فريدة: الحال مافرقش كتير عن المرة اللي فاتت، كويسة الحمد لله .

مني: ياكذابة .

فريدة: كذابة ليه إن شاء الله ؟

منـي: عشـان مش بـاين عليكـي إنك كويسة، شكلك مش مرتاح، وبعدين إنتي فنانة فعادي تبقي كذابـة.. مش قلت لـك قبـل كـده الفـن كـذب صـادق ونوايـاه كويسـة؟ و(تضحك)...

فريدة : لسه مصممة إني فنانة !!

منى: بأمارة العيون والقطط اللي راسماها في كتبك.

كنـت قـد اعتـدت الرسـم داخـل الكتـب خصوصًـا فـي الصفحات الأولـي، رغم حبـي للرسم وغرامـي بـه الذي استشرى في الثانويـة العامـة مـع أستاذة سعاد التـي كنـت

أدرس معها قدرات الرسم، إلا أنه بعد رفض أهلي الباتّ والقاطع دخولي كلية الفنون الجميلة أمارس الرسم على استحياء، ربما أخجل من ضعفي ورضوخي لرغبتهم، أشعر أني لا أستحقه كما أن الطب لم أتصالح معه بشكل كبير حتى الآن، كثيرًا لا أرى فيه غير أنه مفروض بما تحمله الكلمة من ملل ومقت وكره أحيانا.

لا أنكر أنه حاول استرضائي بدعوة صادقة من مريض أو مكانة اجتماعية، ولكن ماذا تعني الأشياء إذا كنت لا تريدها أو لم تتمنها غير أنها تجعلني أكمل اليوم وأقنع نفسي بالاستمرار، كنت أتمنى لو كان ذلك الشغف الذي يتملك والديّ لو تملكني أنا أيضًا تجاه تلك الدراسة والمهنة...

مازالت تتابع منى (الأوردر): اتنين بيتزا وسط بسطرمة، الأكلة المقدسة التي أصبحنا لا نسأل عنها بل نطلبها على الفور كل مرة. كتاب عن سيوران على المنضدة قد تركته منى،

أخذت أتصفح به على قدوم منى: سيبي سيوران حبيبي خدتيه ليه؟

فريدة: انتي اللي اختارتيه ليه العدمي ده؟

سؤال وجيه برضه، عارفة يافريدة العدمية في نهايتها بتأكد نقيضها، حتى لو كل شيء ليس له معنى في النهاية أنت الفائز لو استنفدت الحياة، كما أن الأشياء تعرف بأضدادها، الصحة تعرف بالمرض، معنى الحياة أيضا من الممكن إدراكه بالعدمية، الحزن وشعورك بالنقص ممكن يكون فرصة ليك للكمال .

فريدة: الفلسفة حتجننك يامنى، المشكلة مش هنا، المشكلة إني باتعدي منك، مش عارفة ألاحقها منك ولا من العيانين!!

منى: عارفة يافريدة إنت حلك إيه؟

فريدة: إيه يافيلسوفة زمانك؟

منى: إن إنتي كمان تكوني معدية وعندك مرضك الخاص، وبعدين تدوريلك على دكتور (ودخلت في نوبة ضحك)

فريدة: تعرفي إنك فاضية.

منى: تعرفي يافريدة بنفضل طول حياتنا مشغولين ولو ماوراناش حاجة بندور على حاجة تشغلنا لغاية مانبقي فاضيين، أهي دي مرحلة (البرنس في نفسه) اللي بيقولوا عليها... الإنسان بيوصل فقط لما يبقى فاضي وخفيف رغم كل الحاجات اللي بتحاول تشغله وتثقله، وبعدين إنتوا بتعملوا إيه يعني؟ ما النت عليه كل حاجة.

فريدة: ماتعمليش زي صاحبك ديكارت أحسن نهايتك تبقي شبهه.

ديكارت الفيلسوف المشهور المعروف عنه كثرة التفكير والشك، شك في جدوى الطب والعلاج وتوفي إثر إصابته بالتهاب رئوي، كانت قد حكت لي منى هذه القصة التي أثارت فضولي فقرأت عنه.

المزاح، خفة الظل والروح أهم ما يميز منى، تستطيع أن تثير روحي وعقلي، صحبتها رائعة بامتياز، تعلم أن أشياء معينة تثيرني وتلعب على أوتارها لتخرجني من حالتي المزاجية المتعسرة، المريض الذي يقرأ على الإنترنت ويريد أن يطبق ما يقرأ من أكثر المرضى

إزعاجًا وإثارة للأعصاب والتهابًا للمرارة، على أية حال أغلبنا مثير للأعصاب وربما علينا أن نسعى بشكل ما لنكون مرضى!!!

❊ ❊ ❊

٢

يسكن (عم علي) الرجل ذو الخمسة والستين عامًا في طابق أول بمبنى قديم بأحد الأزقة بالمدينة الإقليمية دمنهور. لا يحب التواجد بمنزله كثيرًا؛ فدائما ما رآه قبرَه الذي يدفن فيه وحيدًا، فلو لم يخرج منه قاصدًا المقهى أو المشفى أو مشاويره الشهرية كصرف المعاش وعلاجه الشهري معلنًا أنه مازال حيًا لدُفِن فيه إلى الأبد ولن يفكر أحد كثيرًا في السؤال عنه إلا ربما من باب الفضول مثلا ليتأكدوا من وفاته.

يرتاد مقهى سيد قشطة بعشوائية منتظمة، كلما تسللت إليه فكرة الموت ومشاعرها يخرج إليه مجيبا: لا.. مازلت حيًا، أو يذهب إلى المشفى ولسان حاله متسائل: هل أحتضر الآن؟ أخاف أن أموت وحيدًا!!

ومابين إجاباته وأسئلته مشاعر متناقضة من كل شيء وذكريات متناثرة في كل شيء، ففي منزله الصغير منذ أعوام لا تزيد عن الخمسة كانت الأمور على مايرام، لا يدري إن كان سعيدًا وقتها أم لا، ولكنه كان لا يشكو أو لم يكن لديه الوقت والرغبة ليفكر أصلاً، كان موظفًا بهيئة السكك الحديدية قبل أن يقولوا له إنه لم يعد صالحًا للعمل، ففهمها يومها أنه لم يعد صالحا للحياة!!

جاء موت زوجته ورفيقة حياته بعد اكتشاف إصابتها بمرض عضال بشكل مفاجئ بأحداث درامية متسارعة لم يستطع تداركها في حينها وربما حتى بعد وفاتها،

فكثيرًا ما لاحظ دعاءه لها في صلاته بدوام الصحة والعافية وطول العمر وهي المتحللة تحت الثرى .

أحيانا تحدث أحداث جسام في حياتنا وإن صدقناها بلساننا مازالت قلوبنا وجوارحنا ومشاعرنا تنكرها، فأيهما أصدق !!

يدخل من باب عمارة المنزل الواهن الذي يسكن به المنكبّ للأمام قليلا بعد أن فقد السند وبلغ من العمر مبلغه، فهذا المنزل بني في أوائل خمسينيات القرن الماضي يكبره بعدة أعوام، ولد في عصر عبد الناصر، كان مولودًا شامخا بُني أولاً وبعده بنيت العمارات القريبة، مسنود عليها في جميع زواياه والتي هدمت وبنيت منازل خاصة وأبراج بدلا منها لم يبق من سنده شيء مثله تمامًا ومثل عصره ومثل بلده..

الحياة مليئة بالمتشابهات والمتماسات، نحن موجودون في كل شيء حولنا وكل شيء موجود فينا، والمثير

للحيرة أن مايُكسر خارجنا يلقي بظلاله علينا وما يكسر بداخلنا يلقي بظلاله خارجنا..

فقد عم علي ابنيه محمود ودينا في نفس عام فقد زوجته، وقف بعدهم وحيدًا مستندًا إلى عصاه فقط، منكبًا بوجهه إلى الأمام قليلا أيضا، فهو مثل منزله آيل للسقوط ومثل عصره آيل للانتهاء ومثل بلده واقفة في هذيان بين انتهاء عصر الانحطاط حيث النهاية الوشيكة والمتوقعة أو استمراره الذي لا يفسره إلا سوء طالع هذا البلد جارًا خيبته ووهنه..

فقد بنيه، يشعر هو بذلك، نعم ما زالوا على قيد الحياة يخبرونه أنهم يتنفسون ويأكلون وأسماؤهم ما زالت لم تطل سجلات المتوفين، ولكن متى كانت الوفاة والفقد بالموت إلا إذا كنت أحد موظفي السجل المدني، فقد يموت بداخلنا أشخاص وما زالوا على قيد الحياة، ويحيا فينا أناس للأبد وإن ماتوا، الموت للفاقدين أمر اختياري تماما، تكون أنت فيه الإله أو القاتل بلا عقاب.

يمكنك أن تكون حيًا في مكان وميتًا في قلب أحدهم، أحيانًا نقتلهم في قلوبنا وذاكرتنا وأحيانا أخرى يقومون

هم بالانتحار ويصدّرون إلينا فكرة الشهيد مستندين على كذب... على أية حال هم انتحاريون وليسوا شهداء، يقتلون أنفسهم وبعضًا مِنّا أيضا ولكن لكرم الرب وفضله يقتلون ضعفنا وتعلقنا وميلنا معهم، يقتلون ما نريده أن يموت أصلاً، فهنيأ لهم الانتحار بدعوى الشهادة في أراض طاهرة لا تضيف لها دماء القتلى وأشلاؤهم إلا قداسة...

محمود الذي كان على مشارف الثلاثينات وقتما سافر إلى إحدى دول الخليج كقرنائه بعد شهور من وفاة والدته وضيق الحال وإهداره لعمره في وابل من الوظائف التي بالكاد تكفيه مصاريفه وترتشف عمره وتمتص طاقته، وجد فرصة للعمل كسائق بعد أن كان قد تعلم السواقة (قيادة السيارات) من ابن عمه واستخرج رخصة وعمل سائقا لسيارة أجرة في وقت سابق من حياته، ولم يأت من يومها إلا أسبوعًا واحدًا بعد سفره بعامين ليتمم زفافه بجارتهم (نهى) بعد أن خطبها قبل عدة أشهر سابقة لزفافهما وهو بالخارج، وكان أستاذ إبراهيم والدها مدرس اللغة العربية قد رفضه عدة

مرات لعدم امتلاكه شقة ومقدرة على نفقات الزواج وفتح بيت (على حد قوله)، أما (دينا) ابنته فقد تزوجت من ابن عمها القاطن بالقاهرة وسافرت معه أيضًا للخليج بعد سفر أخيها بأسابيع...

الفقد مؤلم، فكرة الفقد مزعجة بحروفها الثلاثة، وكأنها صافرات إنذار لخطر موشك ربما نشعر به اليوم أو غدًا أو بعد وقت أطول، ولكننا نعلم أنه مستتر في أحد الأركان وسيكشف لنا عن نفسه يومًا ما...

فقد كل ماكان يملك في عدة أشهر؛ عمله وزوجته وابنيه، بقي وحيدًا، هل كان هو بكل ذاك الضعف من قبل ولم يكن يشعر إلا بعد أن تراخت الصروح المشيدة حوله واحدًا تلو الآخر!! هل وجودهم بجانبه كان ما يسند قامته ولم يمر وقت كافٍ ليتأقلم جسده على التوازن فيحافظ على ماء وجهه وانتصاب جسده؟؟ أم كان كل مايملؤه هم؟ فكلٌ غادر بطريقته آخذًا كل أشياءه معه فتركوه فارغًا هشًا.. لم يكن يعلم أنه "بازل" من قطع أربع تساقطت فجأة، لم يكن يحسب لذلك اليوم حساب...

يتردد على المقهى المجاور منذ خروجه على المعاش، يشارك الموجودين أحاديثهم وأنشطتهم والشيشة أيضا.. لم يكن يشربها أثناء عمله بل لم يكن ليجلس على القهوة من الأساس، فحياته عبارة عن عمله الصباحي واختياره للعمل نوباتجيات مسائية أغلب أيام الأسبوع أيضًا لزيادة دخل أسرته، كان آملا في مستقبل أفضل لمحمود ودينا، كان لاينفك يذاكر لهم أيام إجازاته.

كان يقدس مواعيد عمله، كان لا يجد نفسه إلا هكذا أو كانت تتوه عنه نفسه في وسط كل هذا، لم يكن يشغله السؤال ...

أخذ عم على مفتاحه من جيبه وبدأ فتح الباب، تذكر في الماضي لم يكن يستخدمه هذا المفتاح على الإطلاق، كانت زوجته دائما متواجدة بالمنزل، خروجها قليل جدًا، وإن خرجت لقضاء بعض متطلبات المنزل فدائما في أوقات عمله، فكان يدق الباب دقاته المميزة الثلاث في موعده المنضبط فتفتح له زوجته الباب بالانضباط ذاته، انفتح الباب ودلف للداخل ليجد أمامه صورته هو

وزوجته وابناه أمامه، الإطار (البرواز) من النحاس فيه من الأصالة ما فيه من الماضي وتغير الأشياء، الإطار بمن فيه أصبحوا جزءًا من ماضٍ اعترفت الصورة به بلونيها الوحيدين وإطارها النحاسي الصدئ معلنين نحن من زمن آخر انتهى لكن تلك الصور التي بداخله مازالت عالقة بين الماضي والحاضر في زمن لم يخترعه علماء اللغة والزمن بعد..

يتأمل وجهه في الصورة بالبدلة النصف كم (الرائجة في السبعينيات والثمانينيات) بلونها الأزرق الذي لا يستطيع أن يميزه ويقرأه غيره في الصورة ذات اللونين الأبيض والأسود مثل باقي تفاصيل الصورة، وكان وقتها شعره مازال في منتصف طريقه للفناء تاركا بقايا على الجانبين تشهد على استحياء أن هذا رأس بشري!!

كان شاربه داكنًا أسود بموضة السبعينات، استمر كما هو حتى بعد أن زاره البياض ووثبت فوقه بدايات الشيخوخة ذلك الشارب الذي لم يتخل عنه إلا بعدما ترك الحياة والزمن، عندما سقطت قطع البازل لم يبق للإطار أهمية أو معنى فأطلق لحيته..

أنّت ساقاه من التعب واقفًا متاملا وربما عصاه قد أنّت أيضا وصرخت وتركته، لو كانت لتتكلم ولكن لستر الله أنها لا تفعل..

وسقط على أقرب كرسي في الصالة أمام منضدة صغيرة لأربعة أفراد تغطيها طبقة من التراب إلى جانب الطبق في المنتصف بداخله بعض الجبن الفلاحي وقطع الخبز بجانب كيس كبير ممتلئ بالأدوية للأمراض التي حملها مؤخرًا على عاتقه مع ما يحمل من فقد ثقيل وذكريات، فكان السقوط بالنسبة له مسألة وقت فقط...

كان الأطباء مؤخرًا قد أخبروه أنه مصاب أيضًا باضطراب مزمن في ضربات القلب، تقبل الأمر بشكل عادي جدًا، لم يشعر أن قلبه نشاز، على العكس شعر وكأنه موسيقى تصويرية متوافقة مع الأحداث، فشرع يتقبل عدم انتظام حياته أكثر مستمعًا إلى أم كلثوم في انتظامها الحزين في تباين واضح لاحظه أرقه الطويل...

❊ ❊ ❊

استيقظت ذلك اليوم وقد فاتني شروق الشمس يراكم ذلك شعور عميق بالأسي لديّ رغم تكرار الحادثة، علمت من جدتي منذ أن كنت صغيرة أن الأرزاق تقسم في الصباح الباكر، وعلقت تلك الفكرة في ذهني في كل شيء؛ فالتأخير يسبب لي إحباطًا أحاول ان أحتويه وأتغلب عليه باقي يومي.

نوباتجيتي ذلك اليوم كانت مسائية فالأمر ليس له علاقة بالعمل، الأمر بالنسبة لي متعلق بالحياة، دائما أتأخر ودائما أشعر بالإحباط، الأمر الذي يصيبني بالسخرية من نفسي أحيانا كثيرة مرددة: طبيعي جدًا بيحصل في أحسن العائلات...

أسير في طريقي إلى قسم الطوارئ بالمستشفى أتفقد الحوائط والأشخاص، حولي ممرات طويلة تفضي إلى صالات انتظار مربعة ومستطيلة تفضي بدورها إلى حجرات بها أسرة وحجرة كبيرة للحالات الحرجة،

مايلفت نظري دائما عدم وجود كراسي للاستراحة سواء للمرضى الذين تسمح لهم حالاتهم بذلك أو لأهل المريض، الأمر الذي يبرهن على ذاته بتحول حجرات الكشف والطوارئ إلى سوق غير منظم في مستشفى تخدم مدينة صغيرة والقرى التابعة لها....

دكتور سامي هو الطبيب النوباتجي ذلك الوقت، يكبرني بثلاثة أعوام، متزوج ويعول طفلاً صغيرًا، طويل قمحي البشرة دائما مبتسم متفائل رغم الظروف المادية والاقتصادية الضيقة، كثيرًا ما أستمد من نظرته هذه للحياة أملاً وطاقة تكفيني لباقي اليوم، إنه المرح أهم ما يمكن أن يميز بيئة العمل وهذا كفيل بتغيير يومي، أمنيته الكبرى كغيره من شباب الأطباء بل وكهولهم أيضا السفر؛ يرى الأغلب أن الحياة ليست هنا بل خارج الحدود بل ما وراء البحار والمحيطات أيضا، يرونها تقبع هناك تنظر لهم وتغويهم إليها، ربما صحيح !!!

صوت صراخ في الاستقبال يصدح في أذني، لا ضير فأذني اعتادت عليه، عندما أصرح بذلك لصديقتي منى

ووالـديّ يسـتنكرون ذلـك فـأرد (إنهـا العـادة ياسـادة)، (وبعدين بالمنظر ده أنا حقضي الشيفت عياط) !!!

قد لمحت أحد المرضى من دائمي التردد على قسم الطوارئ في ذهني (كرونيك بيشنت كما هو معتاد تسميته في الوسط الطبي) ولكني أراهم أنواعًا، هناك المرضى الذين يأتون بشكل متكرر لعدم انتظام بالعلاج والإهمال وهو النوع الأول، أما هذا المريض فمن النوع الثاني، مريض يأتي ومعه حقيبته لا أعلم إن كان بالفعل استعدادًا منه فقط أم وسيلة ضغط من جانب آخر، ناهيك عن الأعذار من نوع بيتي يبعد كثيرًا عن المستشفى أو لديّ متابعة عيادة بالمستشفى صباحًا، وهي أسباب ما أنزل الله بها من سلطان للحجز بالمستشفيات...

هذا النوع من المرضى من الممكن أن يمر على الطوارئ بالمستشفى مرتين أو ثلاث مرات يوميًا يريد أي شيء (فكرة هو يعني من جيبكم) ليس لديّ اعتراض

أنك مهضوم الحقوق ولكن ربما تحتاج طعامًا ونمط حياة أفضل، ترفيه، صحبة، ولكن ليس دواء أكثر على أية حال، ولكن ربما المستشفيات هي التي لم تغلق أبوابها بعد وهذه المهنة هي الباقية لم تستطع أن تخلع رداء إنسانيتها في هذا البلد الذي تخلى عن أغلب مسئولياته تجاه مواطنيه، وأدرك الناس أن الدولة تدار من أجل نخبة وليس من أجل أمة فباتت التضحية والعمل من أجلها أمرًا سخيفًا مثيرًا للسخرية وانصرف كل فرد بحثا عن مصلحته الشخصية ...

ناهيك عن المرضى النفسيين الذين يضج بهم أهلهم أو ذوي المرض العضال المحتاجين لخدمة مستمرة ، أو الذين ليس لهم من يسأل عنهم، كل هؤلاء أودّ يومًا لو أقول لهم: مكانك ليس هنا، ربما دار رعاية أو دار مسنين، على أية حال ليس هنا...

جاء موعد الاستلام من الزميل العزيز، فريدة: ياللا إفراج؟

سامي: إفراج مين؟ انتي ناسية؟! إلى البرايفت ياعزيزتي...

فريدة ضاحكة: معلش افتكرتك بني آدم طبيعي من اللي بيخلصوا شغل ويروحوا... سامي: من بقك لباب السما، أهو احنا عايزين نبقي بني آدمين طبيعيين بس والله، تعالي أسلمك الحالات.

فتحدث عن هيام وأم إبراهيم وعم السيد وعم علي، والأخير قد أخذ علاجًا وتم التحكم في سرعة ضربات قلبه غير المنتظمة وهو تحت الملاحظة رغم ارتفاع ضغطه وسكره..

عم علي.. إذن هو اسمه، ذلك المريض كثير التردد على الطوارئ من فصيلة "حقنة مسكنة لا اتنين لا الحقنة التلاتة في واحد بتريحني اكتر" وطبعًا الأكثر تفضيلا هو المحلول، المحلول هو بطل الطوارئ ومنى الكثير من مرضاها بلا منازع.

لا أدري لماذا لا يخشى المرضى من فكرة التعود تجاهه مثل جلسات النفس مثلا، ربما ينظرون إليه على أنه نوع من التغذية رغم أنه من ذلك براء، والجلسات بداية (للشم) مثلا، وهو شعب متدين بطبعه !!!

بدأت أراجع المرضى وتنفيذهم للعلاج، عم علي .. لماذا لم يتحدث سامي مع طبيب الباطنة وبدأ إجراءات حجزه مباشرة ما دام بالفعل مريضًا هكذا؟

يذكرني ما فعله سامي بدرس الطفل الذي يكذب كل مرة بأنه يغرق وعندما غرق بالفعل نظر له الجميع في تواطؤ وشك وريبة.

لم تتحسن حالة عم علي كثيرًا بعلاج الطوارئ. المريض يحتاج حجزًا بالفعل، لابد أنه سيفرح ويضحك كثيرًا، إنه ضحك كالبكاء.

❊ ❊ ❊

ذلك اليوم أردت مقابلة صفاء زميلتي وصديقتي طبيبة الباطنة قبل انصرافي. صفاء تقليدية جدًا مبتهجة سعيدة وكأنها تعلم كل شيء أو لا تعلم أي شيء على الإطلاق، أجلس معها عندما تحتد على أفكاري وسخطي فأعود محملة بأنه لا أزمة على الإطلاق ولا تحدي على الإطلاق، بل لا شيء على الإطلاق !!!!

صفاء شخص عادي جدًا أجد نفسي غريبة الأطوار إلى جوارها، بل أكاد أجزم أني من عالم آخر، على أية حال هي طيبة جدا، فتاة متوسطة الطول في النصف الثاني من عقدها الثالث، اهتمامها بنفسها وجمالها بسيط وغير متكلف، محجبة من الإعدادي على ما أتذكر أنها اخبرتني، ارتدته بعد أن سمع والدها خطبة تحدث فيها الخطيب عن مسئولية الأب بل والعقاب الذي سيصلاه كأب لأنثى بالغة لم ترتدِ الحجاب بعد، لم يشغلها الأمر يومها ولم يشغلها حتى اليوم، هي لم تشك لحظة في أي شيء، لديها يقين يربكني أحيانا كثيرة، اليقين مريح جدًا، ياليتني أملك منه القليل!!

يومها أردت أن أعطيها فلوس الجمعية التي أقنعتني قبل أشهر بالانضمام والاشتراك فيها، لم أكن أميل لتلك الفكرة ولكني أعلم أنها كانت تحتاجها فوافقت عن حب، فزواجها بعد أشهر من قريب لها يسكن في قرية قريبة من دمنهور، كلما حدثتني عن نفقات الجهاز أشفقت عليها، غسالتان وبوتاجاز لها وآخر للحماة وغيره، وكأنها ستوفر لها وللأجيال القادمة والسابقة مايحتاجون، وهو شرط لزواجهما الآن...

كنت أتساءل مع نفسي أحيانا كيف لطبيبة ومهندس على هذا المستوى الاجتماعي بغض النظر عن خلفياتهما يرضخان لهذا الهراء عن طيب خاطر؟ ولكني كثيرًا كنت أخشى من غضبها أو لا سمح الله تتصور أنه بدافع من غيرة أو حسد قابع في صدري ولم يجد له طريقًا سوى تلك الكلمات المستنكرة.

أردت أن أعطيها فلوس الجمعية فصعدت إلى قسم الباطنة بالدور الرابع بالمستشفى بعد قسم القلب والعظام بالدور الأول والعمليات بالدور الثاني والنسا والجراحة بالثالث وتعلوها العناية بالخامس، لا أعلم سر تصميمها الأقرب للسماء ربما لتصل الدعوات أسرع أو لتصعد الأرواح أسرع كما يفسرها الناس هنا.

لم أصعد بالأسانسير، صعدت الأدوار على السلم، أحيانا تنتابني نوبات من التأمل، على أية حال لم يكن التعب قد تمكن مِنّي إلا أن هناك هاجس يأتيني كما يأتي كثيرًا من الفتيات أنها ربما تفقد بعض الجرامات من الوزن الزائد بهذه الطريقة!!

وجدت عم علي عند كونتر التمريض يصلح كرسيًا في همة وسط تشجيع تمريض الدور، يا الله!! هذا الوجه البائس اليائس الذي لا يكف عن الشكوى والغضب يبتسم .. يقدم شيئا ويأخذ تصفيقا وثناء.. تقدمت في ترو علّني أفهم أكثر، تعلو وجهي ابتسامة مستغربة مندهشة: ازيك ياعم علي عامل إيه؟

عم علي: الحمد لله يادكتورة فريدة تمام.

أعجبت بنظرة الرضا على وجهه، اختلف شكله كليًا، يبدو أننا نحمل وجها آخر عندما نحصل على مانريد، تختلف ملامحنا فيه كثيرًا عن ذي قبل، الاحتياج يملأ وجوهنا سخطًا وغضبًا وعدوانية ويشعر بتلك المشاعر كل من حولنا.

فريدة: الله ينور، انت بتعرف في النجارة ياعم علي؟؟

عم علي: آه دي شغفي طول عمري، أكتر حاجة بتمتعني، لما كان كرسي أو ترابيزة في البيت ينكسر كنت أقول لأم العيال مافيش نجارين حيدخلوا البيت وأحاول لغاية ما أجيبها وباجيبها.

يتحدث بزهو وحب يذكرني بحبي للرسم، الشيء الذي كان يعطيني مثل تلك المشاعر التي تملكته الآن.

فريدة: انت بايت لوحدك ياعم علي؟؟

عم علي: أيوه يابنتي أنا ماليش حد، ولادي سابوني ومراتي اتوفت كلهم سابوني بعد ما ضيعت عمري عليهم.

ونزحت دمعة عزيزة من مقلته وكان وقعها في قلبي كبيرًا.

فريدة: عم علي تسمحلي أسأل عليك طيب؟

عم علي: ياريت يادكتورة، ربنا يوفقك دايما يابنتي حستناكي متتأخريش عليا..

ودعته بابتسامة دافئة وغادرت متجهة إلى غرفة الطبيبات علّني أجد صفاء هناك، أريد أن أخفف الحمل أعطيها بعض ما أحمل ليتها تستطيع أن تحمل عني أكثر من الألف جنيه، أعلم أنها لن تستطيع، ربما منى من يمكنها أن تحمل، ولكن أين منى الآن؟ (إنها على

سفر) لماذا استمعت له كما لم أستمع لمريض من قبل؟ أشعر أن قلبي من استمع إليه، كان هو الحاضر أكثر من أذنيّ، كيف يحوّلنا الفقد إلى مسوخ بشرية؟ أعلم أنه مؤلم، الحمد لله لم أفقد أعزاء ذوي قربى شديدة باستثناء جدي ذلك الحكيم الذي بلغ من العمر أرذله وكان بكامل عقله وقلبه حتى آخر أيامه، مع فقده شرعت أفهم معنى الغياب، افتقدت حكمته وأنسه بي وبالحياة، لم أتحدث معه طويلا وكثيرًا، ربما لم أتخيل أن لكل شيء نهاية، لا خلود لبشر، أعلم ذلك جيدا ولكني لم أدركه، كنت أشعر أنه موجود دائما. إنه خطؤنا الأعظم وندمنا الأبقى، يا الله!!

لو لم أفقده في مرحلتي الثانوية ربما كان أنقذني قليلا من ذاتي، عبر بي وهو ضعيف البصر، وعلمني وهو الأمي، وأخرجني من بعض تلك الظلمات بنور قلبه، اشتقت لتلك الاستراحة القصيرة من الزمن التي كنت أتحدث إليه فيها، ذكرني ذلك بجهاز الصدمات الكهربية (دي سي شوك) الموجود بالطوارئ الذي يمكنه أن يعيد إلى القلب المضطرب والموشك على التوقف انتظامه وحالته الأولى البكر، تمنيت لو كان موجودًا مثله

بحياتنا، الشيء الذي يستطيع أن يعيدنا للحياة كما يجب أن تكون بسلاسة وتلقائية الفطرة.

لم أفقد جدي حقا إلا بعد سنوات من وفاته عندما أدركت إعجابي به، ربما ندرك قيمة من نفقد بعد الفقد عندما نصل إلى مرحلة نستطيع أن نرى فيها مقدار عقلهم أو قلبهم، قبل ذلك ربما يكون أكبر من أن نراه فلا نراه أصلا!!

وهنا جاءني هاتف في رأسي: يالله.. يلتهم عقلك التفكير يافريدة!!

دخلت صفاء، أدركت ذلك من رنة موبايلها (ياشمس يامنورة غيبي وكفاية ضيك ياحبيبي) وهنا باغتها: ياريت تغيب شوية الدنيا بقت حر قوي ياصفاء !!

صفاء: بتتريقي حضرتك؟ بكرة أشوفك حتبقي رنتك إيه لما تتخطبي ...

فضحكت: تصدقي ياصفاء؟ مفيش حاجة بعيدة، ممكن أعمل زي النغمة دي ..

صفاء: طب ياللا بقى.

فريدة: هو إيه اللي يالا؟ إحنا رايحين البحر، خدي آدي الفلوس أهي، سلام يا صفاء...

ذكرتني صفاء بكلام جارتنا وأمي وهما يتمنيان لي الزواج وبذلك تمام سعادة الدنيا طالما رأيته شيئا مهما ولكن ليس كل شيء، هناك هوس بالارتباط كلما شعرنا بالنقص أو الضياع وكأن الزواج هو فقط ما يسد الهوة بداخل نفوسنا، أن يفكر الرجل بالارتباط وهو لم يجد ذاته فهو يخلف وراءه كثيرًا من المجروحات موهومًا أن بالارتباط نكون نحن، ربما على الناحية الأخرى الأغلب يخلفن مستقبلهن والكثير من طموحهن من أجل الزواج، ويقمن بعمل (فريز) لحياتهن وأفكارهن وأحلامهن منتظرات الفتى الطائر الذي سيوجههن إلى المسير فيمحين مافات ويبنين آخر.

لا أنكر ذلك ولكنه غالبًا على مقاس أزواجهن، لا تهتم إحداهن بأن تجد ذاتها غالبا عندها ذاك الأمل بأنها ستجد

نفسها عنده أو لا تجدها على الإطلاق، ربما لن يؤرقها ذلك كثيرًا، على أية حال الموضوع أعقد من هذا وأبسط أيضًا، لا يشغلني الأمر كثيرًا الآن.

لكني أعتقد أن هذه هي من إذا فقدت شريكها لأي سبب تجد نفسها على البلاط حافية عارية، فقد كان معه كل شيء ورحل بكل شيء، الأمر مرهق جدًا، هي لا تبحث عنه فقط.

هي تبحث عن نفسها أيضا، فنرى من تبكي وتتباكى طوال عمرها على المرحوم أو من قرر الرحيل، لم تقنعني تلك الوحشة أبدًا، أشعر بها جيدا، أستطيع أن أميزه عن الحب الصافي، ذلك الاحتياج والضياع المقيت، تتسارع خطواتي، قد حل التعب بقفزة واحدة على جسدي وعقلي، أريد سريري الآن...

❊ ❊ ❊

٣

أن أستيقظ وأعد فنجان قهوة صباحي من مبهجات يومي، لست من المغرمين بفيروز رغم حبي لها، القهوة تصنع على مهل، كل شيء ببطء يكون أجمل، قرأت يومًا " إن الحياة قصيرة جدًا ولذلك يجب علينا أن نعيشها ببطء أكبر"، أعلم هذا جيدًا، فلديّ تقدير خاص لفنجان القهوة والمقدمة الطويلة من الموسيقى الشجية لأغاني عبد الحليم والست، أن تكون لديّ المساحة لأفكر وأتأمل ما أفعل من مبهجات حياتي، ولكن كيف لنا ذلك؟!

الحياة دائما تجري وكأنها قد سرقت شيئا منا، ونظل نجري خلفها لا نفتأ ما أن تعطينا شيئًا إلا نتذكر أنها أخذت آخر، لا نتوقف إلا إذا تعبنا جدًا، فنجلس على قارعة الحياة مرهقين أو ندرك الخدعة ونتركها وشأنها، وهنا دومًا تحدث المفاجأة، نجدها تلتفت إلينا وتتودد، نصبح شغلها الشاغل، تعطينا ما أردنا وكلما أدركت علمنا بمكرها كلما تفننت في العطاء كالحسناء التي يلهب قلبها عدم الاعتبار لأنوثتها!!

يبدو أنها كالعلاقات العلاقة لابد أن تتوازن، إن هرولت خلفك ستستغني وإن ابتعدت ستقترب.. ها هو كتاب منى عن سيوران أمامي، ثلاثي القهوة والكتاب وفيروز وادعاء العمق أو بلوغه (ترياد العمق كما يمكن تسميته طبيا) وهو البوست الأكثر شهرة على الفيس بوك، على أي حال الكتاب يبدو جميلاً رغم أنه عن هذا العدمي سيوران، فتكون أول ماتقع عيني عليه من الكتاب (أردت ببساطة أن أنبهك أن هذا العالم الذي لا روعة فيه يمكن أن يكون رائعا حقًا) قالها سيوران، يبدو أن منى لديها بعض الحق، سيوران على كآبته وعدميته أحيانا يعطي بعض الأمل، والأمل القادم من باطن

الحزن والألم والعدمية يكون أصدق وأقوى وأكثر تأثيرًا..

قراءتي لكتاب منى تأتي بعد انقطاع كبير عن القراءة منذ روايات الجيب في المرحلة الإعدادية والثانوية في الإجازات وبعض الروايات الرومانسية الضحلة على فترات متباعدة تقع في يدي من صديقة، وقليلا ما تجذب انتباهي إحداها فأشتريها، على كل القراءة تذكرني بكلمات جدي "اقري يابنتي" جدي الأمي كان دائما ما يوصيني بذلك، وعندما كنت أسأله ماذا أقرأ؟؟ فيخبرني بأن أقرأ المواقف، الناس، والحياة.. كنت وقتها أشعر فيها بمعنى عميق ولكني لم أدركه حينها..

ولأنه ليس كل ما نقرأه يسهل فهمه وربما تعلق صفحة ما في رأسنا، فما زال يشغل بالي عم علي، هل يمكن أن نجد له مبررًا منطقيًا لما يفعل؟

هل يمكن أن تفعل الوحشة بالإنسان كل ذلك؟ يتحول لكائن طفيلي على المستشفيات؟ من المسئول عن هذا؟ والأهم ماذا يمكننا أن نفعل حيالهم؟ البلد ناضبة بالفعل إذا كانت لا تحتوي شبابها فكيف نفكر أنها ستفكر في

كهولها؟ ترى منى أن السبب والنتيجة هو الفرد، أما أنا فأرى أن النظام (السيستم) هو السبب، لا توجد قنوات مناسبة لتفريغ الطاقات وحل المشكلات، فتنصب على الحلقات الأضعف في بلد لا اهتمام فيه بالصحة النفسية والتأهيل يكون المرض العضوي هو سيد الموقف، إذا لم تفهم لغتي سأحدثك بلغتك!!

هذا منطقهم، ونظل في حلقات مفرغة حتى نحن كأطباء كثيرًا ما نتماهى ونتحدث لغتهم فتكون الحقنة مجاملة والحقنتان إكرامية والمحلول تمام الاهتمام، محاولات هشة لملء فراغ لن يمتلئ.

أدهشني عم علي بشغفه، ذكرني بنفسي وشغفي بالرسم، أشعر بمسئوليةٍ ما تجاهه، ربما لأني قد وعدته بالسؤال أو ربما لأني أرى ظلال حياتي خلاله، على أية حال أريد أن أتحدث إليه مرة أخرى، يذكرني بجدي أو ربما هو كتاب مما أوصاني جدي بقراءته

❊ ❊ ❊

فريدة: عم علي، إزيك عامل إيه؟

عم علي: دكتورة فريدة، نورتيني والله.. مش عارف أقولك إيه

فريدة: أنا اللي مبسوطة ياعم علي إني جيت أزورك وخصوصًا إني وعدتك، جيت بدري قبل بداية النوباتجية.

عم علي: ياريتني كنت في بيتي دلوقتي كنت عرفت أقدم لك حاجة، إنما أنا سايب البيت واللي كانوا معايا كلهم سابوني.

وهنا لمعت عيناه.. دمعة ما زالت تتحمل بالمشاعر وتتكون في مقلته.

بدأ بالحديث عن أبنائه وزوجته، تحدث عنهم بشكوى مختلطة بتضحية كانت تنتظر الثواب.

تركته يشكو ويشكو، لا بأس ففي كل شكوى جرعة كافية من الانتقام كما يقول سيوران... كيف أنه كان يعطي لهم كل شيء ولم يبق معه شيء، حمد الله

بامتعاض وأكد أنه يريدهم في أفضل الحال وأنه لا يريد شيئًا منهم والله الغني!!

كان يقول ذلك بلسانه ولسان حاله يقف متأففا مكذبا .. يحمد الله وقلبه غير راضٍ، قلبه متألم ناقم، هل بالفعل الحمد رفاهية عندما نمتلك الأشياء وتكون حياتنا سهلة ميسرة؟ هل هو مجرد ديكور يضعه أصحاب الدنيا ليضفوا شرعية على ما يملكونه؟ هل يدركون بالفعل أن الحمد لله وأن الخير منه على أي حال؟ فلماذا تتغير الوجوه والقلوب مع تغير الظروف وتبدل الأحوال؟ ألأن الدنيا كانت تمر في سربهم ولو كانت تعاندهم أو تمر في الاتجاه الآخر لكان لكل مقام مقال؟

أن نحمد الله بخواء ندعوه بإحباط ونستدعيه عندما تفرغ علينا الدنيا تأدية لواجب الموقف فنكون بين الله والدنيا مرتدين لباس المؤمنين في نفاق نكذبه جميعا ونعرفه جميعًا.

ومن هنا يمكن أن يلام؟؟ ومن يدفع الثمن؟!

حدثني أنه ترك حياته من أجلهم، كان جل مايريده هم! كانوا كل شيء، سبب الفرح وسبب الأحزان، حتى أصدقاؤه وصحته لم يكن يلتفت إليهم..

وهنا جاءت الممرضة وأعطته بعض الحقن الوريدية فشكرناها ومضت.

فريدة: عم علي، انت ندمان ؟؟

عم علي: هي دي سنة الحياة يابنتي، ناس بتخلص عشان ناس والحياة بتمر واحنا كمان بنمر،

أنا اللي مأثر فيا إني حاسس إني ماليش لازمة ومش عارف عايش ليه.. لله الأمر من قبل ومن بعد.

فريدة: تفتكر كنت ممكن تعيشها أفضل؟

عم علي: أكيد كنت فاهم حاجات كتير غلط... الوسط حلو يابنتي،

تعرفي إني نفسي ماخرجش من المستشفى، أنا في البيت ماحدش بيسأل عليا.

فريدة: ماتقلقش حاجي أزورك إن شاء الله.

عم علـى: يـاااه.. تنـوريني والله ياريـت، وإلا حتلاقـوني جايلكم...

ضحك عم علي ضحكًا محملاً بالسخرية والألم ... هل تحدد لنا الأدوار التي نفني فيها حياتنا وبعدها علينا أن ننتظر الموت؟ نبقى في سبات حتى نموت ماديًا؟ هل نجبن عن اختيار أدوار جديدة؟ هل نحن بشكل أو بآخر لسنا سوى ممثلين سلبيين؟ يغرينا الغطاء المادي كثيرًا في كل شيء، نعتقد أن كل من يتنفس على قيد الحياة وهو الأمر الذي لا يختلف كثيرًا عن الحيوانات والطيور والنباتات، ربما يفيدنا في التصنيف ولكن أليس الحي فينا فقط من هو على قيد الحلم والأمل؟

الباقي موتى ولكنهم يختلفون عن سكان المقابر بقدرتهم على بعث أنفسهم ...

فهلا نفعل وهلا يفعلون!!!

❊ ❊ ❊

أمي لم أفهم عداءها للفن يومها، وهي من تضع أعواد البقدونس في تراص محكم حول اللحم وتشتري الملابس التي بها من الأزرار والحليات ليس ما يفسر وجودها سوى البحث عن الفن والجمال، وتحافظ على وضع كل ما لا يمس في نظام فني فريد داخل الصندوق المغلق المسمى بالنيش.

لماذا إذًا أقامت ضدي تلك الحرب الشنعاء عندما أفصحت لهم عن رغبتي في دخول كلية الفنون الجميلة وعشقي للرسم، كانت منزعجة من ماذا؟

ومِمَ كانت تخاف؟ كانت تخاف على المستقبل الذي رسمته لي بعناية.. كانت تراني في كل شيء.. لا تمتلك سواي فكانت لا تريد أن تفقد كل ماتملك، لا أستطيع أن ألومها والمؤسف والذي مازال يؤلمني حقا أني لا أعرف هل لي أن ألوم نفسي أم لا؟ هل كان بإمكاني أن أفعل شيئا؟

هل كان عليّ أن أدفع ثمن التضحيات صاغرة أم أن لديّ القرار في تقرير مصيري، الحق في تقرير المصير، تلك التي بذلت فداها الدول في العالم الغالي

والنفيس حتى لو كانوا بخير، كان الصراخ يدب من كل زاوية نريد أن نكون... عندما كنت أتحدث مع أبي بعد مرور الأعوام وألومه بشكل ما يصر على رعونتي، يعترف أنه يحبني ويحترمني ولكن مصلحتي أهم، هو يرى أنه ينظر للأمام أما أنا فلا أنظر إلا تحت قدميّ برؤية محلل استراتيجي. ولكن نحن في مصر ونعرف جيدًا مدى سخف الكلمة!!

كان يشبّه حالي بحال ثورة الخامس والعشرين من يناير: تأملي ماذا حدث؟ تركنا لكم ولجيلكم العنان وعدتم إلى نقطة الصفر مرة أخرى... أما أنا فقد وفرت عليكِ كل هذا والكثير من الخسائر !!

لا يعلم أنه ينكأ جرحًا آخر، الثورة ذلك الحلم الذي ظنناه سيأتي حاملا مصباح علاء الدين، إنه الفرصة الكبرى لينقلب كل منا على صنمه، لينتصر على خوفه، ليلتحم حلمه بالحلم الأكبر ويستمد قوة الصمود من الملايين.

ما أقسى أن ينقلب الحلم الكبير إلى كابوس مقيم ...

ما أصعب أن يتكسر كل ما تؤمن به شيئا وراء آخر

ما أشد من أن نتحول من قدوة شباب العالم إلى درس كيف تسرق الثورات وكيف تنهب الأحلام وكيف تنتهك الأمنيات.

كنت منبهرة عندما أحرق البوعزيزي نفسه وقام الناس في تونس، أعجبت بصرخته المدوية وأصابني الأمل بقيام الثورة في تونس.. يا الله.. كل هولاء يريدون أن يصرخوا!!

تمنيت أن نحذو حذوهم، كان لديّ إيمان شديد أن العدوى ستنتقل إلينا، فنحن بيئة خصبة جدًا ذلك الوقت، كنت أريد مصر أن تصرخ وأصرخ معها، كان أبي وأمي يومها مع الاستقرار، وكنت أنا مع الفوضى، تلك الفوضى المنظمة المبهجة... ثم وقعت الثورة بخطوات متوالية في براثن الفشل ووقعت أنا وجيلي في دوامة من الإحباط وفقدان الأمل، الأمل... ذلك أعظم ما يمكن أن تمتلكه أمة أو أن تفقده !!!

❊ ❊ ❊

٤

تتكرر الزيارات، عم علي تتحسن حالته وهو على وشك الخروج، هكذا أخبرتني صفاء. في كل مرة كان يشكو ويتحدث أشعر وكأنه قد طرد شيئا من على صدره وأنا قد فهمت نفسي أكثر..

يشكو ويتحدث ويحنو ويقسو ويحب ويكره إلى أن ينتهي ما حمله لهم ويجد نفسه أمام ذاته، كنت أشعر أنه يكاد أن يقول أنا السبب أنا المسئول أنا المخطئ، وأنا من يجني ولكن خجله من ذاته وقتها كان أقوى، يخجل أن

يقول إنه كان عليه أن يعيش، أنه كان عليه أن يحب أبناءه وأن لا ينسي أن يحب ذاته أيضا، أنه أرقى من أن يكون آلة للإنجاب وتربية الصغار فقط، أنهم كذبوا عليه وقالوا له يجب أن تنجب كي يبقى لك أثر بعد الوفاة، فانتظره طيلة ثلاثين عامًا، أضاع حياته من أجل موته.

أعطى دون أن يطلب منه، بل ربما دون أن يكون هناك أي جدوى للعطاء أحيانا سوى سبيل من سبل المن أو لأنه لا يجد ما يعطي فيه غير هذا... أعطى حتى فرغ تمامًا !!

العطاء ليس صفة إيجابية طوال الوقت، إن لم يكن بمغزى وأثر فهو حرث في الماء وتكبيل للآخر ولا يستدعي فعل الأخذ على الإطلاق، حين تعطي عليك أن تعطي فقط، إن انتظرت الأخذ فهذا ليس عطاء... تذكرت أبي وأمي أيضا، ورأيت بعضًا منهم في عم علي، كما أني رأيت بعضًا مني في أبناء عم علي ولكنهم كانوا أكثر جرأة في اتخاذهم سبيلهم في الحياة، وربما تشوبهم قسوة ما.. لا أدري!!

أمـا أنـا فأجـد نفسـي فـي منتصـف الأشـياء لـم أستسـلم لوضـعي الحـالي كمـا أنـي لـم أتمـرد عليـه، غارقـة فـي الوسـطية المقيتـة والرمـادي مضـلل الألـوان أومـن بالاعتدال ولكن ليس بأن تسقط معالم كل شيء ونصبح مسوخًا، أذكـر أن منـى قـد ذكـرت ذات مـرة أمـامي أن أرسطو (المؤسس الأول لفلسفة الأخلاق) يرى الفضيلة وسطًا بين رذيلتين، فالشجاعة مثلا فضيلة وسط بين الجبن والتهور، والعطاء أيضا فضيلة بين البخل والتبذير...

أحب اللوحات الأبيض والأسود وتستنكرها منى.. لماذا لونان متناقضان؟ لماذا لونان فقط؟ ودائما أراهما غير متناقضين، هما متكاملان لأقصى درجة، فعندما تسمع ماجدة الرومي تقول إني أكذب من شدة الصدق، أو تسمع أحدهم يقول أكرهك لأني أحبك جدًا، هم وصلوا لشيء من الحقيقة، فعندما تستنفد الشيء تجد نفسك أمام نقيضه وجها لوجه، درس تعلمناه بعد أن أدركنا سابقا

أن طرفي خريطة العالم ملتصقان في نقطة ولا يبعدان عن بعضهما كل هذا البعد الشاسع ...

شدة الأشياء تؤول لنقيضها ولكني لا أرى ذلك في الحب، أن تحب هو فعل تقف عنده الكلمات والأفعال والزمن، عندما ينتهي هذا الحب تبقى جثته تؤرقنا فنحاول أن نغير تسميته لكره وحقد وكلها محاولات بائسة، الحب يولد حبًا ويموت حبًا..

العلاقات مرآة والصفات نسبية، أنت تراني معلمًا لأنك جلست على مقعد التلميذ، وتراني محبوبًا لأنك رأيتني من زاوية العشاق، وتراني ظالمًا لأنك وقفت موقف الضحية، فقط غير موضعك وزاوية رؤيتك وستصدم!!!

❊ ❊ ❊

" مازلت غير ساكنة ياعزيزتي" تقولها لي منى.. تعرف جيدًا ما يختلج بصدري وما يدور بعقلي من صراعات، تقرأني فأومئ برأسي:

نعم مازلت داخل المعركة أحارب ولا أنضم لأحد الأطراف، لا ينوبني مغنم قط... فتباغتني: (لأن أشياء بداخلك قتلت، ماتت ولم تدفن بعد، مازالت تسمم وجودك، اجعليها طريحة ورقة أو بورتريه أو لوحة أو مقطوعة، لا تحتفظي بالموتى في داخلك، أنتِ لست مقبرة صدقيني، رائحة الموتى لا يمكن التغطية عليها بأي حال ولا يفيد التجمل والتزين فوق جثث الموتى، التنظيف والتطهير أولى ياعزيزتي)

ارسمي.. قولي ما أردتِ أن تقوليه وما لم تريدي، ثرثري بالقلم والألوان لا يهم من يسمع ومن يفهم، الفن يجعلنا أكثر دراية وتقبلاً لأنفسنا ونقصها الحتمي، فهو يصالحنا على أنفسنا بشكل ما، ويعوضنا عن ذلك الميل الفطري إلى الكمال.. لو لم نكمل أنفسنا بالفن والحب والمطلق سنتجه لنكمله بالسيف والخنجر، وهذا مايحدث عند راغبي القتل الذين ضاقت بهم الحياة عن الحب والفن فأرادوا قتل من يعيشه في الدنيا آملين هم أن يعيشوه في الآخرة!!

النقص فن، والكمال مأمول ولكنه غير مدرك... رأيت في أحد الأفلام الوثائقية عن اليابان (ذلك الشعب الذي يسعى للكمال في كل شيء) أن اليابانيين يشوهون عامدين الشكل الذي ينشأ تلقائيا على عجلة الفخار لأنهم يشعرون أن الجمال الحقيقي ليس منتظما بهذه الصورة!!

لا تلهو منى معي كثيرًا في الأسباب والملابسات، تفكير غير أنثوي أحترمه فيها كثيرًا.

فريدة: عايزين نزور عم علي في بيته مرة.

منى: ياااه إنتي لسه مركزة معاه؟

فريدة: أقدر أقول إني مدينة له بشيء ما.. غير أني ارتبطت بيه كتير

منى: تعرفي يا فريدة عم علي حيبقى مرتاح إمتى؟ لما يلاقي ذاته!!

ضحكت فريدة: ممكن حد يلاقي ذاته وهو داخل على السبعين؟

منى: الإنسان ممكن يلاقي ذاته في أي وقت ولو حتى لأيام وتكون بالعمر كله.

❊ ❊ ❊

كان قد خرج عم علي من المستشفى منذ أيام، أردت أن أزوره في منزله كما وعدته وقد اتفقت مع منى على ذلك... ذهبنا إلى هناك، الشقة بالدور الأول أخذنا نطرق الباب منادين ولا استجابة، على مجيء الجار في الشقة المقابلة: عم علي تعيشي انتي من يومين.

يا الله.. توفي ذلك الرجل.

استغربت منى من علامات التجهم والحزن والضيق، كانت ترى أننا كأطباء فقدنا كثيرًا من الإحساس، وجلال الموت فقد رونقه وقدسيته وثورته لدينا...

لا أدري ماذا عنت لي وفاته !!

الكثير من المعاني مرتبكة أمامي، هل هو الأمل الذي انتهى مثلما انتهى مع الثورة؟ هل هو تلك المرآة التي كان يسعدني كثيرًا رؤية نفسي وفهمها خلالها وفجأة وجدتها قد تهشمت فأخذت أبحث عن نفسي حولي ولم أجدها؟ هل هو ذاك الحلم الذي انتهى قبل قليل من اكتماله؟ أم جهاز الصدمات الذي كنت آمل أن يعيد لحياتي انتظامها وهو المريض المزمن باضطراب ضربات قلبه؟!

قدمنا واجب العزاء لجاره، كان تقديمه أمرًا واجبًا ومستحقا، رغم ربما عدم أهليته لتلقي العزاء.

فريدة: مات لوحده، واللى كان خايف منه حصل!

منى: وهل يضر الشاة سلخها بعد ذبحها؟ الموت موت تعددت الأسباب والملابسات ويفضل الموت واحد.

فريدة: الموت ذلك الفراق الإجباري والانقطاع عن كل شيء.

منى: تعرفي يافريدة، بالرغم إني ماكنتش أدخل طب بمجموعي لكن كمان كنت أحب الابتعاد عن لعبة الحياة والموت، لكني شايفة أن اللى بيمتلك فكرة سيئة عن الموت دايما ما تكون عنده فكرة سيئة عن الحياة..

تعرفي إن سقراط عرّف الفلسفة بأنها معرفة الموت، فإنه بدون الموت لا يمكن للبشر أن يتفلسفوا.

فريدة: عندك حق، كفى بالموت معلمًا...

من سخرية القدر وبؤسه وشراسته أنه بعد الموت والفقد والمصائب تستمر الحياة، الحياة قصة بعض الأحداث كالفواصل عندها يجب أن تقف قليلا، تقف لتتأمل لتفهم ثم تستأنف، وبعض حوادث الحياة كالنقطة عليك أن تترك السطر وتبدأ من جديد، وربما تترك مسافة ما أيضا، حياتنا مليئة بالنقاط والفواصل وغيرها من علامات الترقيم.

المهم أن يكون ما بعدها يختلف عما قبلها، تكون هناك نتيجة واستطراد منطقي إن لم تفهم الدرس وكانت النقاط

والفواصل في قصتك بلا معنى مفهوم في النص فهو نص عشوائي وربما كان الأجدر عدم كتابته...

يقولون إن الحب والموت القادران على التغيير.. لا أدري لماذا هما بالتحديد، ربما لأن الحب محاولة لبلوغ الكمال مع المحبوب والموت هو تمام كمال الرحلة.. وبما أني لم أجد مثل ذلك الحب بعد فهل يمكن أن يكون ذلك الموت هو تلك الشعلة لي ..

قرأت ذات مرة أن الإنسان يعيش مرتين فقط؛ واحدة عندما يولد والأخرى عندما تظهر عليه علامات الموت.

فالحياة حلم لا يوقظنا منه إلا الموت

رب موت كالحياة...

❊ ❊ ❊

٥

لم أكن أفكر كثيرًا أن وراء كل مريض حكاية، أن خلف الموت ثكالى ويتامى وأرامل وحيوات تنقلب رأسا على عقب ..

الأجواء عادية في ساحة الطوارئ اليوم، السرعة تحكم الأشياء، العجلة تغلب على القرارات والكلمات، تهب علينا رائحة الموت من ناحية ومن أخرى رائحة الحياة.. ولكني أراه بشكل مختلف، ما الذي تبدل؟ عيناي كما

هما والأشياء كما هي، نعم إنه شيء في الداخل، براح ما تولّد بين عقلي وقلبي.

أنا لست التي تساعد هذا وتكتب العلاج لذاك وتنقذ حياة تلك كجزء من حمل ثقيل لا تكاد تستطيع تحمّله وتود لو أسقطته وتحررت.. أنا السبب الذي قدّره الله لنجاتهم، أنا تلك الرحمة والإرادة الإلهية المتمثلة في بشري...

كنت أغضب عندما تفشل جهودنا في أن نعيد شخصًا ما للحياة، ولكني أدرك الآن أنني منفذ للإرادة الإلهية وشاهد عليها، ليس علينا شفاهم!!!

كل ماعلينا هو الأخذ بالأسباب والمحاولة، ربما هو كل ماعلينا في الحياة أيضا، لو كان المراد هو النتيجة لأتانا بها الله جميعا.. ولكن لما كانت هناك حياة وتجربة بشرية دنيوية، فالأخذ بالأسباب والمحاولات المتكررة تعطينا قيمة الأشياء، وقيمة الأشياء لو تعلمون هي أهم من الأشياء ذاتها... كما هي قيمة الحياة أهم من الحياة ذاتها.

فكل الأشياء والكلمات والأفعال فارغة مالم نملأها بالمعنى والقيمة...

القليل من التورط في الحياة مفيد، أما الغرق فيها فمفجع ومرهق، أتجول بين المرضى، يأخذ البعض مني كلمة ربما تصنع من يومه شيئا ذا معنى، وربما يعطيني أحدهم شيئا أغلى من الماس أضعه في صندوق مدخراتي النفسية من ابتسامة رضا ودعوة صادقة وفرحة العودة للحياة، كيف لم أرَ من قبل تلك الوعود داخل العيون بأن نخرج من هنا ليس كما كنا؟

في عين كل مريض متألم حسرة على ما فات، على وقت مر وصدقة لم تؤدَ وحب لم يكتمل واعتذار واجب لم ينطلق به لسانه وشكر وامتنان لم يقدّم ودين لم يُرد وخصام لم ينته وهمّ وكره وغضب وحنق لم يلقَ به بعيدًا، وهم غير القادرين على حمل أنفسهم الآن... أصبحت أرى كل هذا في عيونهم، أصبحت أرى ذلك

الندم في العيون على سنوات من التدخين والإفراط في الطعام والاغترار بالحياة، أصبحت أراه حتى قبل أن أرى ملامحهم، كيف أصبحوا شفافين لهذه الدرجة؟

أصبحت أرى الوعود في عيون المتعافين أيضا بتغيير ما فات، ليست هذه مجرد نظرات رضا وارتياح ونجاة من موت محقق فحسب، بل مختلطة بوعود صادقة بالتغيير.. أصبحت أراها الآن وأربت على عيونهم بابتسامتي ويردون بابتسامة أخرى، لا داعي للكلمات، الكلمات أقل وسائل التعبير قدرة على إيصال المشاعر وبث المعاني والأفكار، فلنصمت ونترك لأنفسنا العنان ونقول كل شيء أو نقول شيئا واحدًا ولكن بوسائل أكثر صدقا وتعبيرًا...

❊ ❊ ❊

ينتهي العمل ومازالت لديّ طاقة للحياة، من هنا جاءت البداية، كيف أصبحت أمتلئ من العمل بعد أن كنت أفرغ خلاله؟ كيف يمكن أن تأتي الحياة من رحم الموت؟

أتجول في باحات المستشفى لأداء المهمة السامية من الإمضاء في الدفتر وإثبات وجودي في المستشفى، الحوائط والأشياء والأشخاص بهم فن ما، كلٌ منفرد بجماله الخاص واختلافه...

أحد العمال: د. فريدة فيه حد بيسأل عليكي في الطوارئ.

فريدة: بيسأل عليّا؟؟ .. طيب، على العموم حامر عليهم...

لا أشعر بالغرابة، ربما أحد المرضى الدائمين أو ذويهم، لا بأس أنا مبتهجة اليوم سأتوجه لأرى على أي حال...

شخص نحيل طويل ما إن رأيته حتى علمت أنه هو، كان السؤال والانتظار يملآن عينيه، نظرت إليه فعرفته ونظر إليّ فعرفني .

فريدة: أهلا.. حضرتك عايزني ؟

- أيوه.. دكتورة فريدة؟

فريدة: أفندم.

- ر أنا ابن عم علي

فريدة: البقاء لله.

هامسة لنفسي: إذًا أنت من هجرته وتركته يعاني أو ربما هو من خنق نفسه بحبال التضحية وبعثر نفسه في انتظار رد الجميل منك.

كانت عيناه فيهما من الألم والدموع الكثير، وإن لم تتساقط على وجنتيه.

آه من تلك الدموع.. أو الحنين إلى الكمال كما يسميها سيوران...

تعني ألف آه لو !!!

مع الكثير من كلمات شكر وثناء أمتنّ له بها ولكني لا أطيق حملها... يتحدث إليّ أنه قد اتصل بوالده تليفونيا وكان يتحدث وهو مبتهج ويطيل بي المدح والثناء، ولما علم بوفاته وأتى قرر أن يشكرني بنفسه...

ممتنة لمجيئه على أية حال

يبدو أنه قد تعلم الكثير أيضا...

هوّنت عليه، أليس أقصى ما يمكن أن يفعله أحدنا للآخر هو أن يهون عليه الطريق؟!

في تلك اللحظات من الرغبة في التطهير نلقي بكل شيء على أنفسنا، نصبح الظالم والمذنب ونلقي على من ألقينا عليه الثرى هالة من القدسية والمظلومية...

ولكن هل هي حقيقية أم مبالغ فيها؟

وهل كنا سنقف إلى جوارهم فعلا لو عادوا؟

هل كنا سنطيل العناق ونباشر النظرات العميقة الحنونة لو وجدناهم إلى جوارنا الآن؟ هل كنا لنعتذر عن أخطائنا ونشعرهم بالرأفة والحب والتعاطف والتفهم؟

فإلينا جميعًا المفاجأة، نحن ومن حولنا كلنا مشروع موتى ومفقودين وفاقدين، ربما لم يكتمل بعد.

حدثني عن ألمه وألم أخته التي لم تستطع الإتيان إلى مصر لظروف عمل زوجها وأبنائها وعن عمله وظروفه القهرية والكفالة التي منعته عن أبيه وأنه لم يكن يريد ولكن ماحدث قد حدث.

الأعذار حقيقية ومنطقية إلى حد كبير، ولكني مازلت أومن أنها رغم صدقها كاذبة، من يريد سيستطيع.

حتى أني لا أستطيع أن ألوم أحدًا، كلٌ أدلى بدلوه في تجربته، وكلٌ يدفع ثمنها أيضا على أي حال...

أقدّر صدق مشاعره، أقدر مجيئه إلي رغم ربما عدم جدواه إلا رغبة في التنفيس والتعبير عن إخلاص وود وحب، رغبة جامحة في استكمال ما لم يعد بالإمكان استكماله، وعطاء لا يجد له مستحقًا حقيقيًا بيننا...

اعتذر لي عن اعتدائه على وقتي وأخبرته أن الأمر يهمني ولا بأس، ثم انصرف وفي عينيه مثل تلك

الوعود التي أسرني بها أيضا كمرضاي ورأيتها لتوي ذلك اليوم...

❊ ❊ ❊

ألوان زيتية قديمة وبالتة ولوحات وورق كلها محملة بغبار الأيام مختلطا برائحة الإحباط ورائحة حلم قد انتهت فترة صلاحيته.. أذكر أني آخر مرة قد احتفيت بها ومارست الرسم كان أيام الثورة.

خصوصًا يوم التنحي، رسمت يومها لوحة من ألوان مزركشة بتفاصيل مستقبل كنا نود أن نرسمه لتونا. بعدها أخذتني متابعة الأحداث، تركت ماكنت أظنه الأحلام وتصورت أنني ربما كغيري يمكن أن نشكل جزءًا من الواقع، فالواقع أولى، وما حاجتنا للفن لو كان الواقع يحمل من الكمال والجمال والمثالية ما كان يحمله يومها؟

الألوان هي لغة البهجة، أخلط عدة ألوان على ورقة وأترك لها تولي الأمر، سيشارك الجميع بحب في رقصة المرح والاحتفال بالحياة.

قلمي الرصاص وأقلام التحديد تحتاج لمبراة وصقل، كنت سابقا أراها مجرد مرشدة للألوان حتى قرأت ذات مرة على لسان هربرت ريد (إن القاعدة العظيمة والذهبية للفن، كما هي للحياة، هي: كلما كان الخط المحيط أكثر تحديدًا وحِدّة وبروزا، كان العمل الفني أكثر كمالا، وكلما كان أقل بروزًا وحِدّة عظم الدليل على ضعف الخيال والانتحال والإهمال)

ربما كان يقصد الوضوح والخطوط الفاصلة في الحياة.. كثيرًا ما نعيش بين بين، تهيئ لنا أنفسنا أننا تابعون لهذا أوذاك متماهين في الحدود المتنازع عليها...

ما أجمل أن يكون لكل شيء حد فاصل واضح، ما أجمل الأشخاص الذين تتماهى خطوطهم الخارجية مع مشاعرهم الداخلية، ذلك التطابق الرائع الذي يجعل الصدق هو سيد الموقف.

كنت أمارس الرسم بعدها على استحياء على أغلفة الكتب وأولى صفحاتها كما نمارس الأمل والحلم على استحياء أيضا كلٌ بين نفسه، كنت أخجل من حلمي كما كنا نخجل من أنفسنا عندما نتذكر أحلام الثورة الموءودة.

منى تقول إن المشكلة أننا لم يكن لدينا وعي بالثورة ولم يكن لدينا مخطط للقيادة، فهل يمكنني اليوم قيادة حلمي وحياتي كي لا تسرق؟ الشعوب تتعلم من ثوراتها كما نتعلم نحن من أخطائنا...

❊ ❊ ❊

٦

علمت أنه سيقام اليوم معرض للفن التشكيلي بمكتبة الإسكندرية وندوات متعلقة بالموضوع، شدتني الفكرة، لا أدري كيف أتت أمامي وأنا التي كنت أقلب حسابي كالمعتاد على الفيس بوك. كيف عرف مارك كما يقولون؟؟

ربما ما نبحث عنه يبحث عنا فعلا، على أية حال الأمر أثار داخلي بهجة غير مبررة ولا أريد تبريرها، كثرة

نبش الأشياء بمحاولة تفسيرها وأسبابها وفحص مكوناتها الأولى تفقدنا معناها، يومها اخترت (ذاهبة) وليس (ربما) كما كنت أفعل من قبل، لا أريد مزيدًا من الاحتمالات، أريد قرارات...

أفتح دولابي وأريد اختيار ما سأرتديه، فستان كتاني بسيط سيكون لطيفا، لا أرتدي الفساتين كثيرًا، الفساتين أنوثة وخفة وبهجة وقبول وهو غير مناسب للكئيبات والمملات والناقمات على كل شيء ...

الطب رداء سميك يتغذى علينا، الطب ليس مهنة، الطب حياة، إن لم تنتبه له التهمك وكلما انتبهت متاخرًا كان الرداء أثقل وصغرت أنت داخله، فلتخفف رداءاتك كلها، ابنة زوجة حبيبة طبيبة أخت صديقة...

ذات مرة سألتني منى: من أنت؟ بطريقة سعاد حسني لحسين فهمي في "خلي بالك من زوزو" وببهجتها وأسلوبها المرح أيضًا، السؤال أربكني، أنا لست الطبيبة، لست من تحب الرسم، لست الابنة، لست

المصرية، لست الصديقة، أنا فريدة، قلتها ولكني الآن أرى أني لست فريدة تلك بل شيئًا ما يقبع خلفها.

أخذت أتصفح لوحاتي القديمة، منها ما يحاكي الواقع والطبيعة مثل تلك اللوحة لبحر الإسكندرية تتخلله المراكب الشراعية وهي تنتمي لما يطلق عليه الفن التشكيلي، ومنها ما تمرد على الواقع وما هو إلا مجموعة من الرموز والأشكال والألوان، وهو يمثل الاتجاه للمشاعر والأحاسيس، وفيه الشكل الواحد يمكن أن يعطي معاني متعددة، وهذه اللوحات هي الأقرب لقلبي وهي أيضا التي تحظى بنصيب الأسد من السخرية والازدراء من الأهل والمعارف، ويطلقون عليها الفن (التجعيدي) بدلا من التجريدي!!

أخذت الريشة وبدأت أخط بعض الخطوط وأسكب بعض الألوان، أشعر بانسجام لم أشعر به منذ زمن..

❊ ❊ ❊

يسقط كعبي على الأرض، ذلك الحذاء الأنثوي المدبب قليلا من الأمام يتبعه ذاك الخاص بالقدم الأخرى ويستمر التبادل معطيا موسيقى منتظمة بإيقاع ثابت، لحن فيه من الفخر بالأنوثة والجهر والخيلاء بها ما فيه، انضباط وقانون محكم يبرئها من كل زلل، أحيانا يترنح مني فأغرسه في فم الأرض معلنة لا أنثى سواي لا بعدي ولا قبلي ..

بالكعب نرتقي عن الآخرين درجة، بالكعب الدقيق نرتفع عن الآخرين بالأنوثة والثبات وتجرع الألم في ثقة وقبول، درجة لا يسلم الفستان المنفوش منها عند الجلوس واستئناف الوقوف، كثيرًا ما تجد نفسك داخل شراكك وفي محاولة أن تخلص نفسك من نفسك، أن تخلص فستانك من كعبك دون رتق .

نضع كل أحمالنا على متن كعب مساحته لا تزيد عن ٢سم في ٢سم، سيتحمل ولكنه سيجرعك الألم، ليس ثمة شيء دون ألم، ثقل حذاء وقلب... يالله!! إذا كان الحذاء يعيد تشكيل أجسادنا ويوزع الوجع ويركز الثقل فهل

للقلب بمثل قدرته على تحمل الوجع؟ هل يمكننا تركيز الثقل على مساحة سن قلم سالكا طريقه على فضاء ورقة يعيد توزيع الألم على اللوحة ويتركك وقد أعاد تشكيل روحك في بهاء وخفة؟ لماذ لا يحمل كل جزء ثقله؟ لماذا يضحي بعضنا من أجل بعض فيعتصر القلب ألمًا وتتدور القدم معاناة ليظهر الجسد في بهاء؟

اقتربت من المعرض، اللافتات براقة ومغرية للقدوم، ويبدو أن العارضين من كل صوب وحدب من أنحاء مصر والدول العربية أيضًا، يجمعنا الفن على القيم الإنسانية ضد المتغيرات من سياسة واقتصاد ودوران الحياة، هو أحد الأركان التي تحتمي بها مع شدة العصف بالروح والجسد والنفس، هو أحد الأركان الذي يحاول فيه الجميع أن يحافظ على توازنه، أحيانا يتطلب هذا الإخلال بتوازن المجتمع ولكن على أي حال الفن أمر شخصي جدا، تجربة لصيقة بالفرد الهدف الأسمى منها أن نتوازن ونعيد إلصاق أجزائنا المبعثرة، أعرف ذلك جيدًا ولكن لماذا جئت اليوم؟ لأرى كيف ألصقوا

أجزاء روحهم أم أرى احتفاء أرواحهم أم لأبدأ احتفالا داخليا من الآن؟

لوحات مختلفة، بورتريهات، وأخرى تشكيلية متنوعة.. منها ما تبرز التكوين الدقيق والمحكم لجسم الإنسان، تذكرت طلاب كلية الفنون الجميلة (الرايقين) كما كنا نصفهم آنذاك وهم قادمون إلى المشرحة ليتعلموا أول ما يتعلمون التشريح البشري بمقاييسه المنضبطة، كنت آنذاك أغبطهم، أتمني لو كنت معهم وربما منهم من كان يتمنى أن يكون مكاني، فآه لو كان تبادل مثل هذا مشروعًا وممكنًا...

أخذت جولة سريعة ثم انتقلت إلى القاعة الرئيسية لإلقاء الندوات، كانت الموضوعات شيقة وخاصة تلك المعنونة بالفن والطب التي قد آن ميعادها، انتظرت في شغف حتى تقدم أحدهم يبدو عليه الحماس والحكمة.

افتتح كلامه بأن الطب هو الفن ذاته كما يرد في قسم أبوقراط (أبو الطب): "فإذا وفيتُ بهذا القَسم ولم أحد عنه، يحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وبالفن الذي شرفت بالاشتهار به بين الناس في جميع الأوقات، وإذا ما خالفتُ القسم وأقسمتُ كاذبا، فيجب أن يكون عكس هذا نصيبي وجزائي".

تطرق إلى الحديث عن بعض اللوحات التي ترى الطب بعين الفن مثل لوحة تطبيب لدومينيكو دي برتولو، ودرس التشريح لرامبرانت وزيارة الطبيب لإليزابيث خيرترويدا وباستور لتوم روبرت، وأن الدراسات التشريحية لابن سينا وليوناردو دافنشي هي الفنون الطبية الأبرز والأكثر دقة، كما أنه تحدث عن العلاج بالفن وخاصة الرسم، وهو الذي أدى نتائج جيدة مع ذوي الاحتياجات الخاصة والأمراض النفسية الذي يساعد على التوفيق بين الصراعات العاطفية وتعزيز الوعي الذاتي ونمو الشخصية، لمستني الفكرة كثيرًا،

نحن نتداوى بالفن، وحضرني ما ذكره سيوران أنه قد ألّف كتبه لأسباب علاجية ولتأجيل الانتحار!!!

فهل يمكن أن يكون الطب فنًا حقا؟ الفن هو المهارة والحذق، هل يمكنني أن أقيم تصالحًا معه بعد مرور تلك السنوات؟

نشأ الطب سحريًا ثم دينيا ثم أصبح علميًا، فهل يمكن أن يكون فنيًا في النهاية؟

❊ ❊ ❊

اليوم هو مناقشة رسالة الماجستير لمنى الخاصة بسيوران والعدمية، كانت منى على مدار أسبوع تعمل على قدم وساق من حجز القاعة والمأكولات والمشروبات ومراجعة الرسالة والتواصل مع المشرفين، كنت أساعدها قدر استطاعتي سعيدة لسعادتها، كما أنها أصابتني بالارتباك لارتباكها فأقول لها مداعبة: كان أولى بك الالتزام بأفكار رسول العدم خاصتك وتدركي أن كل هذا ربما عبث وتهدئي قليلا !!!

لم أكن أدرك من قبل أني ربما أومِن بالعدمية بشكل جزئي، الكثير مما نهتم به ونعطيه أهمية لأسباب واهية هو عبث وعدمي بشكل ما.

قدمنا إلى القاعة مبكرًا لإضافة بعض الديكورات والزينة وإحضار الأرواب، كانت منى متألقة بملابسها الفورمال.

بدأ الأصدقاء والمعارف والمشرفون والممتحنون بالتوافد، والإيقاع أخذ في الانتظام مؤذنا ببدء المناقشة.

تبدأ منى بتقديم رسالتها وإبراز أهم النقاط.. بدأت العدمية حالة من التمرد والرفض أمام الكنيسة في القرن التاسع عشر وكانت تعني (nihil) أي لا شيء.. طبيعي أن يحمل الإيمان الراسخ غير المتزعزع والإجابات الجاهزة المعلبة واليقين الذي لا يحمل ما يبرره العقول والقلوب البكر التي لم تخالط الحياة بعد على التفكير بالعدمية.

ومَن مِنا ومِن السابقين لم يمر بالشك في كل شيء في طريقه لليقين؟ إن كانت العدمية بفطرتها الأولى هي

جزء من تاريخ الفلسفة والعقل البشري، فهي جزء من حياة كل شخص، فمن لم يحاصره الشك الشديد حول نفسه والآخر والكون؟! ما لم يخنق فطرته بيده وينتحر عقليا ويقف في جانب ثابت الأركان من جوانب الحياة دون أن يعرف من ثبته وكيف ثبته!!

من منا لم يفكر بأنه لا قيمة جوهرية للحياة؟ ووجودنا عبث كل منا مر بمرحلة من الاكتئاب في حياته، صحيح ليس كل مكتئب عدمي ولكن بالضرورة كل عدمي مكتئب أظن ذلك.

ما زالت تسرد منى بإيجاز تطور الفكرة، بالرغم من أن الفكرة كان لها بعض الأثر الإيجابي في التحرر من القيود والشك غير المشروط والذي أثمر رؤى عظيمة في علم الاجتماع والجينات والتطور والفكر والادب، وهي ما اتُفِقَ على تسميتها بالعدمية النشطة.

إلا أنها في شكلها السلبي قد خلقت حروبًا ومجازر بعد أن كانت ترى أن القتل النهاية المحتومة للبشر..

إلا أنها في ظني مدمرة على المستوى الشخصي عند اعتناقها كمبدأ، ويظهر هنا كلام باسكال (غارقا في الاتساع اللا نهائي للفضاءات التي أجهلها وتجهلني، أصاب بالذعر) وترى ذلك جليا أيضا على حياة العدميين المخلصين كسيوران في سوداويته وألمه غير المنقطع، لذا فأنا لا أرى خلاصًا إلا الإيمان، ولو قليل من الإيمان في بحر هائج من الشكوك !!!

مازالت منى تتحدث عن تطور الفكرة، كان لابد من ظهور الوجودية حرية التفكير بالوجود كيفما ترغب به الذات وتعزيز القيمة الانسانية، لكل شخص هدفه الخاص في الحياة وتحقيق معنى وجوده هو مسئوليته الشخصية وإن كانت تؤدي في النهاية إلى العدم، ففلاسفة الوجود يؤمنون أن كل إنسان يولد في عالم خال من المعنى حتى يجد معناه الخاص وغاية سعادته...

الوجودية إيجاد معنى للعدم.. استمرار الفكر العدمي الآن في بعض الدوائر وظهور بعض الجماعات التي تدعو للتوقف عن الإنجاب واعتباره جريمة، ربما يدل

علـى أن الإنسـان مـا زال يبحـث عـن معنـى ومـا زال يشكك في كل شيء بشكل أولي خالص.

بالرغم من أن هناك من الكسالى والسلبيين يستخدمونها كقناع حتى يهربوا من الوقوف أمام أنفسهم في مواجهة الأسئلة الوجودية الكبرى، العدمية هي الحل الأسهل أحيانا فهي لا تحمل أي التزام، الأفكار لا تموت، إنها تأخذ دورتها في الحياة ...

أفكار سيوران وكآبته عبّأت المكان، تكفي كلماته عن تاريخ العالم الذي يراه لا شيء سوى تكرار الكوارث بانتظار كارثة نهائية، يا الله بالرغم من أني لا أصنف نفسي من المتفائلين إلا أني شعرت وكأن سحابة سوداء كانت تحوم حول روحي.

الحمد لله انتهى التقديم والمناقشة اللذان استمرا ما يقرب من الساعتين، وبدأ التقاط الصور التذكارية المليئة بالأمل والبهجة مما جعلني أسر إلى منى أن سيوران لو كان بيننا لكان له رأي آخر...

منى سعيدة بالمناقشة، فهذا يكفل لها التعيين بوظيفة حكومية كأحد حملة الماجستير إلى أن يكفل لها فرصة أفضل هي بالتأكيد تستحقها وتستحق أيضا هذه الهدية، لوحة قد استغرقت منّي عدة أيام حتى أرسمها، مجموعة من الأشكال والألوان المتداخلة البهية المنظر مرسومة بالألوان الزيتية...

ما أسعدني هو فرحة منى الشديدة بها، وأخذت تداعبني: رغم إني مش فاهماها قوي إلا إني سأضعها بالصالون، أراك قد تعافيتِ كثيرًا وهو مايسعدني أكثر من اللوحة يافريدة.

فريدة: أردت أن أقول فيها لا شيء وكل شيء.

منى: لا يوجد انفصال إلا في أذهاننا، حتى الفلسفة والعلم، الفلسفة هي بداية التعرف على كل ما هو غامض والعلم هو نهاية التعرف عليه ...

أخذت نفسا عميقا:

والإنسان دائما يسعى لأن يكون أكثر مما يستطيع، لديه رغبة شديدة في التمرد على الحدود ومعرفة كل شيء وبلوغ كل القوة والإحاطة بكل العلوم والسيطرة على كل الكائنات، ولما كان هذا غير متاح دائما فإنه يحتاج للفن حتى يطمئن...

❊ ❊ ❊

اليوم نوباتجية صباحية كفلت لي استيقاظًا مبكرًا أحبه، شكاوى ومرضى يعانون من خلل أتقبله في الضغط أو السكر أو ضربات القلب وغيرها بشكل حاد يحثنا جميعا على التعامل السريع واتخاذ موقف، وهو عكس ذلك الخلل المنتظم الذي يعتاد عليه حاملوه حتى ظنوه من أصل الأشياء، فيسرق صحتهم في صمت أو عمرهم وحياتهم في جهل وحمق... أشعر أني أريد أن أسرّ لهم جميعًا : أوجِد جهاز الصدمات الخاص بك، أوجِدْ ما يعيد لحياتك انتظامها وتوازنها وستُدهش.

تمت

للتواصل مع الكاتبة

Smah Anwar

الإسكندرية ج . م . ع

٠١٠١٨٨٣١٣٦١ (+٢)

٥٧٦٥٧٧٧ /٠٣ (+٢)

حسناء للنشر والتوزيع